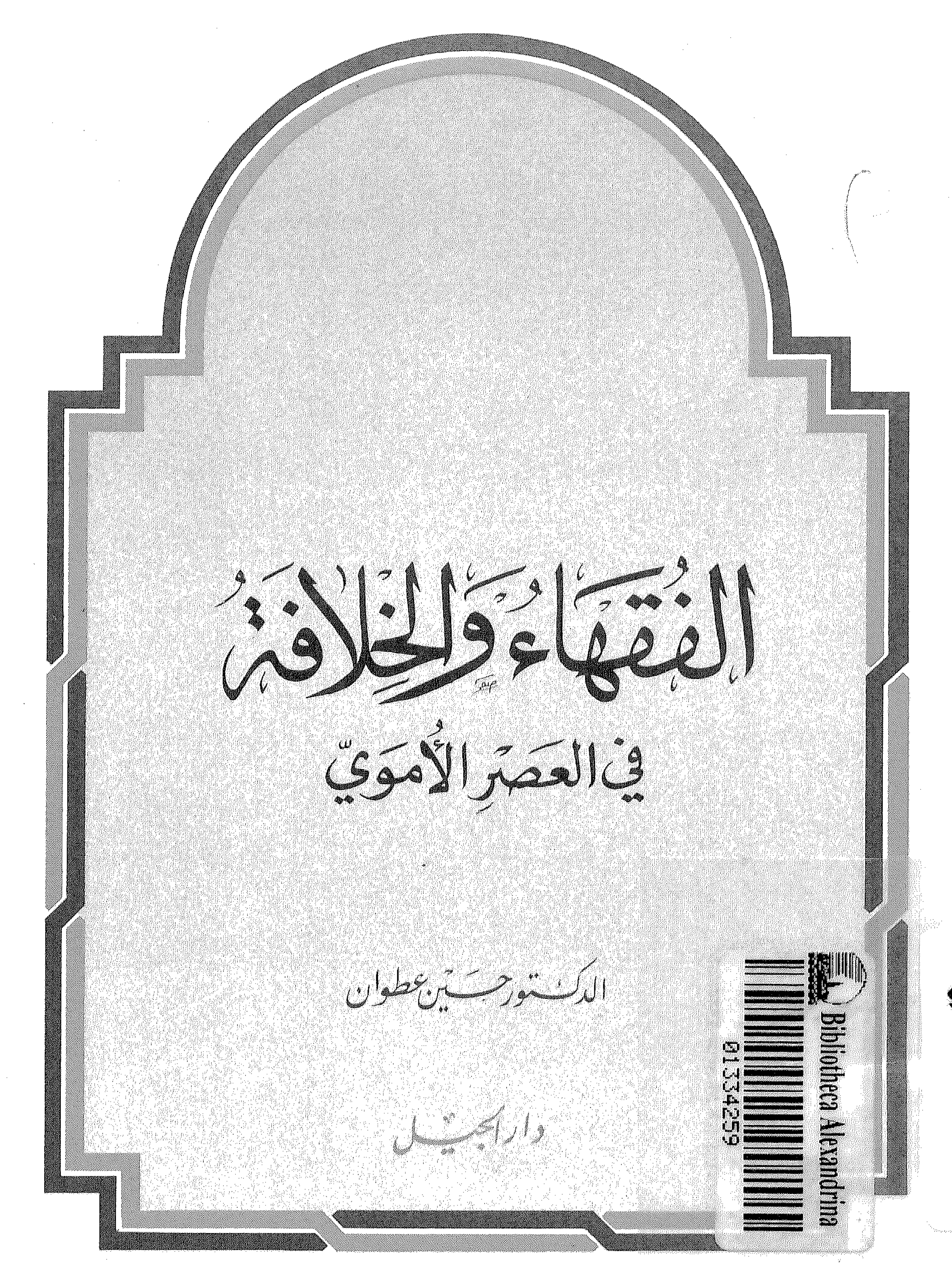

الفقهاء والخلافة
في العصر الأموي
الدكتور حسين عطوان
دار الجيل

الفقهاء والخلافة

في العصر الأموي

الفقهاء والخلافة

في العصر الأمويّ

تأليف

الدكتور حسين عطوان

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

« مقدمة »

هذه دراسة تاريخية تحليلية لموقف الفقهاء من الخلافة في العصر الأموي . وهي تتناول موقفهم من خلفاء بني أمية وسياستهم ، كما تتناول موقفهم من رؤساء الجماعات المعارضة التي أنكرت حكم بني أمية ونددت بهم ، أو قاتلتهم وأرادت القضاء عليهم .

وتُعْنَى هذه الدراسة بآراء الفقهاء الذين عاشوا في العصر الأموي وحدهم ، ولا تتطرق إلى آراء غيرهم . وهي تقوم على ما حفظ من أخبارهم ، فتحيط بها ، وتنظر فيها ، وتستخلص النتائج منها ، دون تمحُّلٍ في تفسير النصوص وتأويلها ، أو تعسُّف في إطلاق الأحكام وتعميمها .

وقد رجعت إلى كثير من المصادر والمظان ، مثل كتب الطبقات والتراجم ، وكتب الحديث ، وكتب التاريخ ، وكتب الفرق ، وكُتب الأدب ، ورجعت أيضاً إلى بعض المصادر المخطوطة ، مثل أنساب الأشراف للبلاذري ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .

وأهم الكتب التي اطلعت عليها وانتفعت بها هي : طبقات ابن سعد ، ومسند أحمد بن حنبل ، وصحيح مسلم ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، والإمامة والسياسة لمؤلف مجهول ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ،

والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، إذ وجدت فيها مادة غزيرة عن موقف الفقهاء من الخلافة في العصر الأموي.

وأما أخي الكريم الأستاذ الكبير عبد العزيز الدوري فله منّي أخلص الشكر وأصدق التقدير، كفاء ما أنفق من وقت وجهد في قراءة هذه الدراسة، وكفاء ما أسدى إليَّ من عون ونصح. والله أسأل أن يلهمني الصواب في القول والعمل.

حسين عطوان

عمّان في ١٥/٤/١٩٩٠م

ـ ١ ـ
«حق قريش في الإمامة»

اختلف المهاجرون والأنصار في إمامة المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم ، إذ طلبها كل منهم لنفسه يوم السقيفة ، وذكر أنه أولى بها من غيره ، ولكنهم اتفقوا في آخر الأمر على أن الإمامة حق لقريش دون سائر العرب .

وجاء في خبر يوم السقيفة برواياته المختلفة في أكثر المصادر التاريخية [١] ، وفي بعض المصادر الأدبية [٢] أن المهاجرين احتجوا لحقهم في الإمامة بثلاثة أمور : الأول أنهم أوسط العرب وأشرفهم داراً ونسباً ، والثاني أنهم أهل الرسول وعشيرته ، والثالث أنهم أقدم من آمن برسالته ، وأول من أبلى في نصرته ، فهم أولى الناس بوراثته . وقد أقرت الأنصار لهم بذلك .

وجاء في بعض المصادر التاريخية [٣] ، والأدبية [٤] ، وفي كتب الفرق

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ : ٢٦٧ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ١ : ١٢٣ ، ومجهول ، الإمامة والسياسة ١ : ٦ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٢٠٥ ، وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١ : ٤ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ٥ : ٢٤٤ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ٣ : ١٨١ ، وابن عبد ربه ، العقد الفريد ٤ : ٢٥٩ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٣ : ٢٣٧ .

(٤) العقد الفريد ٤ : ٢٥٨ ، والحميري ، الحور العين ص : ٢١٢ ، وابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٩ : ٨٧ ، والنويري ، نهاية الأرب ٦ : ٢ .

الإسلامية[1] في غير خبر يوم السقيفة، بل في خبر الإمامة، واختلاف الناس فيها أن أبا بكر الصديق انتصر لحق قريش في الإمامة بحديث الرسول الكريم: «الأئمة من قريش». وورد الحديث في جميع المصادر السابقة دون إسناد.

وروى أحمد بن حنبل الحديث بلفظه[2]، ولكنه لم يذكر أن أبا بكر الصديق استشهد به يوم السقيفة، بل ذكر أنه قال لسعد بن عبادة[3]: «لقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: «قريشُ ولاةُ هذا الأمر، فبرُّ الناس تَبَعٌ لِبرِّهم، وفاجِرُهم تَبَعٌ لِفاجِرهم»، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء»[4].

ووردت أحاديث كثيرة في استحقاق قريش للإمامة[5]، مثل الخلافة في قريش[6]، أو الأمر في قريش[7]، أو لا يزال هذا الأمر في قريش[8]، أو الأمراء من قريش[9]، أو يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش[10].

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين ١: ٤٢، والنوبختي، فرق الشيعة ص: ٣، والبغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٥، ٢١١، والأسفراييني، التبصير في الدين ص: ٢٦، والشهرستاني، الملل والنحل ١: ٢٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٢٩، ١٨٣، ٢١٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥، وانظر تاريخ الرسل والملوك ٣: ٢٠٣، والبداية والنهاية في التاريخ ٥: ٢٤٧.

(٤) روى مسلم بن الحجاج والترمذي حديث: «قريش ولاة هذا الأمر» بمعناه وبقريب من لفظه، ولكنهما لم يشيرا إلى أن أبا بكر الصديق احتج به لحق قريش في الإمامة يوم السقيفة. (صحيح مسلم ٣: ١٤٥١، وسنن الترمذي ٩: ٧٢).

(٥) ونستك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ١: ٩٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ٢: ٧.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٨٥.

(٧) الدارمي، سنن الدارمي ٢: ٢٤٢، والبخاري، صحيح البخاري ٩: ٦٢، وأبو داود، سنن أبي داود ٥: ٢٧.

(٨) صحيح البخاري ٩: ٦٢، وصحيح مسلم ٣: ١٤٥٢.

(٩) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٤٢١، ٤٢٤.

(١٠) صحيح البخاري ٩: ٦٢، وصحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، وسنن الترمذي ٩: ٦٦.

وليس المهم في هذا المقام النظر إلى تلك الأحاديث من جهة الصحة والضعف[١]، بل المهم أنه لم ينقل أنها رويت من طريق أبي بكر الصديق، ولا أنه احتج بأحدها لحق قريش في الإمامة يوم السقيفة.

و يتضح من ذلك أن ما يروى من أن أبا بكر الصديق دَلّـلَ على حق قريش في الإمامة بحديث: «الأئمة من قريش» هو خبر ضعيف، لأنه لم يذكر في خبر يوم السقيفة لا في المصادر التاريخية، ولا في كتب الصحاح الستة.

واعترفت العرب بإمامة قريش في العصر الأموي، وحفظت عنهم أخبار تدل على ذلك، رُوي بعضها عن سادة العرب وقادتهم من أهل الشام، مثل روح بن زنباع الجذامي[٢]، والحصين بن نمير السكوني[٣]، ورُوي بعضها عن وجوه العرب وأشرافهم من أهل العراق، مثل عبيد الله بن الحر الجعفي[٤]، ومطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي[٥]، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي[٦].

أما عرب الشام فكانوا إذا ضعف سلطان بني أمية، وأوشك ملكهم على الانهيار، يَدْعُونَ إلى إمامة قريش، ويُرَدِّدُونَ أنهم بايعوا لبني أمية، وقاتلوا معهم، وناضلوا عنهم، لأنهم من قريش! وكانوا إذا قوي أمرهم، وانقاد الناس لهم، يذكرون أن الإمامة حق خالص لهم دون غيرهم من قريش!

---

(١) أنظر ما بين تلك الأحاديث من تفاوت في الصحة والضعف في البداية والنهاية في التاريخ ٥: ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) البيان والتبيين ١: ٣٠٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ٤: ٢: ٥١.

(٤) كتاب الفتوح ٦: ٢١٧.

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢٨٧، والكامل في التاريخ ٤: ٢٣٤.

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٤٩، وكتاب الفتوح ٧: ١٤٠، والكامل في التاريخ ٤: ٤٧١.

وأما عرب العراق وعرب الأمصار الأخرى فكانوا يرون أن الإمامة في قريش عامةً، وأنها لا يصح أن تحصر في أسرة منها خاصة[1].

وكان رؤساء أهل المدينة يدعون إلى أن تكون الإمامة شورى بين قريشٍ كافةً في أثناء مقاومتهم لرغبة معاوية بن أبي سفيان في عقد العهد لابنه يزيد[2]، وأشهرهم الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن ابن أبي بكر. فلما مات معاوية، وقام ابنه يزيد بالخلافة، كان لكل من أدرك، منهم خلافته رأيٌ آخر، وأمر مختلف، إذ دخل عبد الله بن عمر في طاعة يزيد بن معاوية، وبايع له، حين اجتمع الناس عليه[3].

وظل الحسين بن علي يقول بإمامة قريش في أيام معاوية، فلما توفي معاوية، وتولى ابنه يزيد الخلافة، دعا الحسين بن علي إلى نفسه، مؤمناً أن أهل البيت أوْلَى بالإمامة، لأنهم أقرباء الرسول وأولياؤه وأوصياؤه وورثته وأحق الناس بمقامه[4]، وسأله الشيعة العلوية أن يقدم عليهم الكوفة، فاستجاب لهم، وسار إليهم، فتصدى له عبيد الله بن زياد، وقتله سنة إحدى وستين[5].

واستمر عبد الله بن الزبير يقول بإمامة قريش في أيام يزيد بن معاوية[6]،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٢٨٦، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٣٤.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥١، والإمامة والسياسة ١ : ١٨٢، وكتاب الفتوح ٤ : ٢٣٥، والعقد الفريد ٤ : ٣٧١، وأبو هلال العسكري، كتاب الأوائل ص : ١٨٩، والكامل في التاريخ ٣ : ٥٠٧، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٨٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٣، والكامل في التاريخ ٤ : ١٧، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٢.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٥٧، ٤٠٢، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٧.

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٠٠، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٦.

(٦) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ١٦، ١٧، والإمامة والسياسة ٢ : ١٧٣، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٤، والكامل في التاريخ ٤ : ١٢٢.

فلما مات يزيد، دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه [1]، وبايعه أهل الأمصار، وفيهم أهل الشام إلاَّ أهل الاردن، فإنهم أبوا أن يبايعوا له [2]. ولم يزل عبد الله ابن الزبير يناهض بني أمية حتى قتله عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين [3].

وكان المرجئة الخالصة يقولون بإمامة قريش [4]، ويبدو أن الجبرية الخالصة كانوا يعتنقون هذا القول أيضا [5].

وكان جمهور الأمة في العصر الأموي يؤمن بإمامة قريش، وقد عُرِفَ هذا المذهب في العصر العباسي بمذهب أهل السنة والجماعة [6].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١:٣٢٣، وأنساب الأشراف ٤:٢:٥٦، ٥٨، ٥:١٢٨، ١٣٢، ١٥٦، والعقد الفريد ٤:٣٩٤، والإمامة والسياسة ٢:١٥.

(٢) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٥٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ١٨٧، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٤٨.

(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٣٧، وفرق الشيعة ص : ١٠.

(٥) انظر كتابي الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص: ٣٨٠.

(٦) مقالات الإسلاميين ١ : ٣٢٣، ٢ : ١٣٥، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٧، والفرق بين الفرق ص : ١٥، ٢١١، والملل والنحل ١ : ٢٨، ١٤٣، وشرح نهج البلاغة ٩ : ٨٧.

ـ ٢ ـ
« إقرار الفقهاء بخلافة بني أمية »

يرى الفقهاء في العصر الأموي أن الإمامة في قريش وحدها ، وأن الأمة تختار الإمام عن مشورةٍ ورضاً منها ، وأن بيعته لا تَنْعقِدُ إلاّ بإجماعها (١) .

ويلاحظ أن أكثر الفقهاء في ذلك العصر تقبلوا خلافة بني أمية ، وأفتوا بأنها خلافة شرعية ، ويظهر أنهم فعلوا ذلك لثلاثة أسباب : الأول أنه يجوز أن يكون بعض الخلفاء من بني أمية ، لأن شرط النّسب والقرشية تحقق فيهم ، والثاني أنه لا يصح الخروج عليهم ، لأن الأمة بايعت لهم ، والثالث أنه يجب الأخذ برأي الجماعة ، لأنه أقرب إلى الصواب والحق ، وأبعد عن الضلال والباطل ، ولأنه أدعى للسلامة والعافية ، وأنفى للاختلاف والفرقة .

ومن أقوى الأدلة على تسليم أكثر الفقهاء في ذلك العصر بخلافة بني أمية أنهم دخلوا في طاعتهم ، وأعطوهم بيعتهم ، ومن كبار فقهاء المدينة الذين أقروا بخلافتهم ، ولم يتخلفوا عن مبايعتهم عبدالله بن العباس (٢) ، ومحمد بن الحنفية (٣) ،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٨٤ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٠٤ ، وكتاب الفتوح ٤ : ٣٤٣ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٥١١ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٨٠ .

(٢) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ص : ٨٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧ .

(٣) كتاب الفتوح ٥ : ٢٥٩ ، ٦ : ٢٨٦ .

وعبدالله بن عمر[1]، وعروة بن الزبير[2]، وسعيد بن المسيب[3].

ومن كبار فقهاء العراق الذين بايعوا لهم الحسن بن أبي الحسن البصري[4]، وسعيد بن جبير الأسدي الكوفي[5]، وعامر بن شُراحيل الشّعْبي الكوفي[6].

ولم يتأخر أحد من فقهاء الشام عن بيعتهم، بل إنهم كانوا أخلص شيعتهم، وأصدقهم في نصرتهم، وأحرصهم على دولتهم[7].

وإنما ذُكِرَتْ أسماء قليل من كبار فقهاء الأمصار الذين بايعوا لبني أمية، وأقروا بخلافتهم، لأنهم كان لهم مواقف واضحة من بعض الأحداث السياسية المهمة. وأما سائر الفقهاء فإن البيعة كانت تُؤْخَذُ منهم كما كانت تُؤْخَذُ من جميع الناس عند قيام كل خليفة[8].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤ : ١٥٢، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢١٨، ٢٣٥.

(٢) أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٠، ٣٧١.

(٣) الطبقات الكبرى ٥ : ١٢٦، والإمامة والسياسة ٢ : ٥٥، ٥٦، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤١٥، والعقد الفريد ٤ : ٤٢١، والكامل في التاريخ ٤ : ٥١٤، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٦٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٩٤، وكتاب الفتوح ٧ : ١٤٦، ٨ : ٩، ١٣؛ والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٢٢٠.

(٥) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٦٥، وابن قتيبة، المعارف ص : ٤٤٦، والإمامة والسياسة ٢ : ٣٣، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٩٠، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٨٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٣، والذهبي، تذكرة الحفاظ ١ : ٧٦، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٩٦، وابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ٤ : ١٣.

(٦) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٤٩، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٣٧٥، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٩٣، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤.

(٧) أنظر كتابي الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ١٣٠، ١٩٤.

(٨) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٣، ٦ : ٤١٦، وكتاب الفتوح ٥ : ١٠، ٢٦، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤، ٥١٤، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٤٦، ٢٢٦.

ـ ٣ ـ

« دعوة الفقهاء إلى طاعة بني أمية »

اعترف أكثر الفقهاء في العصر الأموي بخلافة بني أمية ، ورفضوا الخروج عليهم ، وأبوا أن ينقضوا بيعتهم ، ونهوا الناس عن الانضمام إلى الثائرين بهم ، وكرّهوا إليهم المعصية ، وَحَذَّروهم من الفتنة ، وَزَيَّنُوا لهم الطاعة ، ودعوهم إلى لزوم الجماعة . والشواهد على ذلك كثيرة ، وهي تتصل بثلاثة أحداث خطيرة : الأول إنكار أهل المدينة والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير لقيام يزيد بن معاوية بالخلافة بعد موت أبيه ، وما أعقب ذلك من معارضة الحسين بن علي له ، وثورته عليه ، ودعوته إلى نفسه ، ومقتله بالكوفة ، ومناهضة أهل المدينة ليزيد بن معاوية ، وخلعهم له ، ونفيهم لبني أمية من المدينة ، ومناداتهم أن تكون الخلافة شورى بين قريش ، ومحاربتهم لجيش أهل الشام في وقعة الحرة ، وما حاق بهم من هزيمة مرة ، وطلب عبد الله بن الزبير للخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبيعة أكثر أهل الأمصار له ، ورفضه التنازل لعبد الملك بن مروان عن الخلافة ، ومناجزته لجيش أهل الشام ، ومصرعه في مكة .

والثاني خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وأهل العراق على الحجاج بن يوسف الثقفي ، وخلعهم له ولعبد الملك بن مروان .

والثالث ثورة يزيد بن المهلب الأزدي وبعض أهل العراق على يزيد بن عبد الملك ، وخلعهم له أيضاً .

وبيان ذلك أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان ، كان عبد الله بن العباس بمكة ، فأمر مَنْ كان عنده من الناس بالسكينة ، ودعاهم إلى بيعة يزيد بن يزيد ،

قال المدائني[1] : قال ابن العباس : « اللهم أوسع لمعاوية ، أما والله ما كان مثل من قبله ، ولا يأتي بعده مثله ، وإن ابنه يزيد لمن صالحي أهله ، فالزموا مجالسكم ، وأعطوا طاعتكم وبيعتكم » ، ثم بايع ليزيد بن معاوية[2] .

ونصح للحسين بن علي أن يبقى في الحجاز ، ولا يسير إلى الكوفة ، وخوّفه غَدْرَ أهل العراق ، ووعده أن يبايع له إذا اجتمع الناس عليه[3] .

وتمسك ببيعة ليزيد بن معاوية ، ولم يخرج عليه مع أهل المدينة ، وعاذ بمكة . ولما دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه بعد موت يزيد بن معاوية ، امتنع ابن العباس عن بيعته إلا إذا بايعت له الأمة[4] .

وجعل ابن العباس يثبط الناس عن بيعة ابن الزبير ونصرته ، قال البلاذري[5] : «قال أبو حمزة : قلت لابن عباس : إني بايعت ابن الزبير ، فأعطاني وحملني على فرس ، أفأقاتل معه ؟ قال : لا تقاتل معه ، ورُدَّ عليه ما أعطاك ، واشتر بغلاً أو بغلين وغلاماً ، واغز المشركين ، فإن قتلت على ذلك ، كنت شهيداً ، إن شاء الله تعالى . قال : فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه » .

وظل ابن العباس يأبى أن يبايع لابن الزبير إلى آخر حياته ، ومات قبل أن يغلب عبد الملك بن مروان على العراق والحجاز ، وتجتمع عليه الأمة ، ولكنه أوصى ابنه عليَّ بن عبد الله بن العباس أن يأتي الشام ، ويتنحى عن سلطان ابن الزبير

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٨٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٧ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٨٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧ .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ : ١٠٠ ، وأنساب الأشراف ٤ : ٢ : ١٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٩٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٣٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٨ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ : ١٩٦ .

إلى سلطان عبد الملك بن مروان[1]، وقال له[2]: «الحق بابن عمك عبد الملك، فإنه أقرب وأخلق للإمارة، ودع ابن الزبير، فإني رأيته لا يعرف صديقه من عدوه، ومن يكن كذلك لم يتم أمره، ولم يصف له».

وأشار محمد بن الحنفية على أخيه الحسين بن علي أن ينجو بنفسه عن يزيد بن معاوية، وأن يبعث رسله إلى الناس، فإن بايعوا له، كان له ما أراد، وإن اجتمعوا على غيره، صبر وشكر[3].

وقدم على يزيد بن معاوية الشام بعد مقتل أخيه الحسين بن علي، وبايع له[4]، فأدناه يزيد وقرّبه، وأكرمه ووصله[5].

وأبى أن يخرج على يزيد ويخلعه مع أهل المدينة، قال ابن أعثم الكوفي[6]: «أقْبَلَ نَفَرٌ من أصحاب عبد الله بن الزبير، منهم عبد الله بن مطيع العدوي، والعباس بن سهل الأنصاري، وجماعة من أولاد المهاجرين والأنصار، حتى دخلوا على محمد بن علي، .... فقالوا: يا أبا القاسم، إنا قد عزمنا على قتال هذا اللعين يزيد بن معاوية، وهذا عبد الله بن الزبير قد بايعناه، ونريد منك أن تكون يدك مع أيدينا، فقال محمد بن علي: إذاً لا نفعل! قالوا: ولم ذلك؟ قال: لأني قد بايعته، وأخذت جائزته، ولم أخلعه فأقاتله. فقالوا: ولِـمَ بايعته، وأنت أنت؟ قال خوفاً منه على نفسي وولدي، وإبقاءً على مَنْ بقي من أهل بيتي، لأني رأيت أخي الحسين، رضي الله عنه، قُتِلَ فلم آمن يزيد على نفسي، وقد رأيت أخي

(١) أنساب الأشراف ٣: ٥٣.
(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ١٣١.
(٣) كتاب الفتوح ٥: ٣٠.
(٤) كتاب الفتوح ٥: ٢٥٨.
(٥) كتاب الفتوح ٥: ٢٦١.
(٦) كتاب الفتوح ٥: ٢٦٣، وانظر البداية والنهاية في التاريخ ٨: ٢٣٣.

الحسن بايع معاوية من قبل، وأخذ جائزته، والحسن كان أفضل مني، فإن بايعت يزيد، كان لي أسوة بأخي. فقالوا: إن أخاك الحسن رأى رأياً، فقال: وأنا رأيت ذلك الرأي الذي رآه أخي. فقالوا: يا هذا، إن يزيد رجل يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والقرود، وقد فسق وكفر! فقال لهم محمد بن علي: إني قد كنت عنده بالشام مقيماً إلى وقت الانصراف عنه، فلم أطلع منه على كفر ولا فجور، وأكثر ما ينتهي إليَّ من خبره أنه كان يشرب الخمر، وقد نهيته عن ذلك، وقضيت ما عليَّ، ولم يؤاخذني ربي بذنبه. فقالوا له: يا هذا، إنه ليأتي من المنكر والفواحش أشياء، ولكنه ما يطلعك على ذلك! فقال لهم محمد بن علي، رضي الله عنه، فلقد اطلعتم على ذلك منه، فوالله لئن كان أطلعكم على ما ذكرتم، فأنتم شركاؤه في فعله، إذ رأيتم شيئاً من المنكر، فلم تُغَيِّروه، وإن كان لم يطلعكم على شيء من ذلك، فقد شهدتم بغير الحق، فاتقوا الله يا هؤلاء في أنفسكم، وكفوا عما عزمتم عليه، فإني خائف عليكم أن تسفكوا دماءكم في غير حق! فأطرق القوم ساعة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، لعلك إنما تكره البيعة لابن الزبير، لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه! إن كنت إنما تكره ذلك لهذا الشأن، فاخرج بنا حتى نبايعك! قال محمد بن علي: لا أستحل القتال تابعاً ولا متبوعاً. فقالوا: يا محمد، أنت قاتلت مع أبيك يوم الجمل، ويوم صفين، ويوم النهروان! فتبسم محمد بن علي، ثم قال: ويحكم! وأين تجدون مثل أبي في دهركم هذا؟ والله لا أقاتل أهل القبلة، ولا أتبع مولياً، ولا أجهز على جريح، ولا أدخل داراً إلاّ بإذن، فقالوا: والله لا نفارقك حتى تخرج معنا، أو تبايع من بايعناه! فقال: والله لا خلعت من بايعت، ولا تابعت من لم يجعل الله له في عنقي بيعة، فاتقوا الله ربكم، واذكروا ما نزل بأخي الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وولده وإخوته وبني عمه وشيعته رضوان الله عليهم، فإنني لكم منه نذير مبين. يا قوم، لا ترضوا أحداً بسخط الله عليكم، فقد أنذرت إليكم».

قال الواقدي[1] : « وأقام ابن الحنفية بالمدينة ، حتى سمع بدنو جيش مسرف[2] ، وأيام الحرة ، فرحل إلى مكة ، فأقام مع ابن عباس . فلما جاء نعي يزيد بن معاوية ، وبايع ابن الزبير لنفسه ، ودعا الناس إليه ، دعا ابن عباس ومحمد بن الحنفية إلى البيعة له ، فأبيا يبايعان له ، وقالا : حتى يجتمع لك البلاد ، ويتسق لك الناس . فأقاما على ذلك ما أقاما ، فمرة يكاشرهما ، ومرة يلين لهما ، ومرة يباديهما . ثم غلظ عليهما ، فوقع بينهم كلام وشر ، فلم يزل الأمر يغلظ ، حتى خافا منه خوفاً شديداً ، ومعهما النساء والذرية ، فأساء جوارهم ، وحصرهم وآذاهم ، وقصد لمحمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعيبه ، وأمره وبني هاشم أن يلزموا شِعْبَهم في مكة ، وجعل عليهم الرقباء ، وقال لهم فيما يقول : والله لتبايِعُنَّ ، أو لأحرقنكم بالنار ، فخافوا على أنفسهم » .

ولم يزل ابن الحنفية يرفض أن يبايع لابن الزبير حتى قتله الحجاج بن يوسف[3] ، فلما قتله أرسل ابن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان يعرض عليه أن يبايع له إذا أعطاه الأمان[4] ، فأمنه عبد الملك ، فبايع له[5] ، وقدم عليه الشام مع الحجاج ، فرحب به عبد الملك ، وأجلسه معه على سريره ، وأحسن جائزته[6] .

وبايع عبد الله بن عمر ليزيد بن معاوية ، وأشار على الحسين بن علي وعبد الله

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ١٠٠ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٩٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٣٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٨ .

(٢) المراد مسلم بن عقبة المري ، وكان قائد جيش أهل الشام الذي وجهه يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة ، فسفك دماء الناس ، وأنهب المدينة ثلاثة أيام ، فسموه مسرفاً . (أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٤١) .

(٣) كتاب الفتوح ٦ : ٢٤٥ .

(٤) كتاب الفتوح ٦ : ٢٨٤ .

(٥) كتاب الفتوح ٦ : ٢٨٦ .

(٦) كتاب الفتوح ٦ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

ابن الزبير بمبايعته ، ونهاهما عن مخالفته ، حرصاً على وحدة الأمة ، وخوفاً من الفرقة والفتنة ، روى الواقدي [1] «أن ابن عمر لم يكن في المدينة حين ورد نعيُّ معاوية وبيعة يزيد على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأن ابن الزبير والحسين لمَّا دُعِيَا إلى البيعة ليزيد ، أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابن عباس وابن عمر ، فسألاهما : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد . فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ، ولا تفرقا جماعة المسلمين . وأما ابن عمر فقدم فأقام أياماً ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان ، فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه ، وبايعه ابن عباس» .

وكان ابن عمر يأخذ على الحسين بن علي مسيره إلى الكوفة ، وثورته على يزيد ابن معاوية ، ومفارقته للجماعة ، إذ كان يقول [2] : «غلبنا حسين بن علي بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش ، وأن يدخل في ما دخل فيه الناس ، فإن الجماعة خير» .

وعندما أزمع أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية وحربه ، وولوا عليهم عبد الله بن مطيع العدوي ، وعبد الله بن حنظلة الأنصاري ، نصح لهم ابن عمر بالرجوع عن ذلك ، وأتى ابن مطيع ، فحذَّره الخروج من الطاعة ، وخوَّفه أن يهلك على الفوضى ، لا إمام له ، إن هلك وهو مخالف للجماعة ، قال مسلم بن الحجاج [3] : «جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع ، حين كان من أمر الحرة ما كان ، زمن يزيد بن معاوية ، فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٣ ، وانظر كتاب الفتوح ٥ : ٣٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٧ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٦٣ .

(٢) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٦٣ .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٨ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٣ .

فقال : إني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقوله . سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة ، لا حجة له ، ومن مات ، وليس في عنقه بيعة ، مات ميتةً جاهليةً » .

واعتزل ابن عمر أهل المدينة حين خلعوا يزيد بن معاوية[١] ، وأمر ولده وأهله أن يقيموا على بيعته ، ولا يتابعوا أهل المدينة على خلعه ، قال ابن سعد[٢] : « لما ابتز[٣] أهل المدينة بيزيد بن معاوية وخلعوه ، دعا عبد الله بن عمر بنيه وجمعهم فقال : إنا بايعنا هذا الرجل على بَيْعِ الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقول : هذه غدرة فلان »[٤] . وإن من أعظم الغدر إلاَّ أن يكون الشرك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بَيْعِ الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم ينكث بيعته ، فلا يَخْلَعَنَّ أحد منكم يزيد ، ولا يُسْرِعَنَّ أحد منكم في هذا الأمر ، فتكون الصيلم[٥] بيني وبينه » .

وقال ابن كثير[٦] : « كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات من أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد » .

وتوقف ابن عمر عن بيعة ابن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية[٧] ، وكَفَّهُ

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢١٨ .
(٢) الطبقات الكبرى ٤ : ١٣٨ ، ومسند أحمد بن حنبل ٣ : ٤٨ ، ٩٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٢ .
(٣) ابتز بفلان : غلبهُ وقهره .
(٤) انظر الحديث في صحيح مسلم ٣ : ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، وسنن الترمذي ٤ : ١٢٢ .
(٥) الصيلم : القطيعة المنكرة .
(٦) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٢ .
(٧) الطبقات الكبرى ٤ : ١٧١ .

عن مخالفة الأمة، وإثارة الفرقة [١]، وأخذ يخذّل الناس عن الانضمام إليه، والقتال معه، ويدعوهم إلى الطاعة، والابتعاد عن الفتنة، قال المدائني [٢]: «جاء رجل إلى ابن عمر، فقال: هذه خيلنا. قال: أية خيل؟ قال: خيل ابن الزبير. قال: ما هي لنا بخيل! وجاءه آخر، فقال: بايعت ابن الزبير على كتاب الله وسنة نبيه، فأبَى ذلك، فقال: صدق، ولو أعطاك ذلك، لم يف لك به! وجاءه آخر، فقال: بماذا تأمر يا أبا عبد الرحمن؟ قال: بطاعة الله والجماعة، وأنهاك عن الفرقة. قال: ثم بماذا؟ قال: إن كانت لك ضيعة، فالحق بضيعتك».

وقال الواقدي [٣]: «كان ابن عمر يقول: لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب»، وروى [٤]: «أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلاّ صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله» [٥].

ولما بسط عبد الملك بن مروان سلطانه على جميع أمصار الدولة، واتفقت عليه الأمة، بايع له ابن عمر، وكتب إليه [٦]: «بلغني أن المسلمين اجتمعوا على البيعة لك، وقد دخلت فيما دخل فيه المسلمون».

ويظهر أن عروة بن الزبير كان يرى في أول الأمر أن الإمامة شورى بين قريش، شأنه في ذلك شأن أخيه عبد الله بن الزبير. حتى إذا توفي يزيد بن

---

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٣٥٧، والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ٣٤١.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ١٩٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٤: ١٤٩.

(٤) الطبقات الكبرى ٤: ١٤٩.

(٥) انظر شواهد أخرى على اعتزال ابن عمر للفتنة. (الطبقات الكبرى ٤: ١٥١، ١٦٤، ١٦٩، ١٨٣).

(٦) الطبقات الكبرى ٤: ١٥٢.

معاوية ، أيد طلب أخيه عبد الله للخلافة ، وسعى في أخذ البيعة له ممن عارضه من سادة أهل المدينة الذين عاذوا بمكة بعد وقعة الحرة ، مثل محمد بن الحنفية [١] .

ثم أشار عروة على أخيه عبد الله أن يخلع نفسه ، ويبايع لعبد الملك بن مروان ، حين أحاط به جيش أهل الشام في الحصار الثاني بمكة ، وأوشك أن يهزمه ويفتك به ، فلم يقبل مشورته ، بل أنكرها أعظم الإنكار ، وأصر على القتال أشد الإصرار [٢] .

فلما قضى الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير ، سار عروة إلى الشام ، وبايع لعبد الملك بن مروان [٣] .

ودخل سعيد بن المسيب في طاعة يزيد بن معاوية وأعطاه بيعته ، وود لو أن الحسين بن علي صبر على يزيد بن معاوية ، وبقي في المدينة ، ولم يذهب إلى الكوفة ، إذ كان يقول [٤] : « لو أن حسيناً لم يخرج كان خيراً له » .

وأبى أن ينقض بيعته ليزيد ، وتنحى عن أهل المدينة ، ولم يشترك معهم في الثورة عليه ، ولزم مسجد المدينة ، ولم يفارقه ، قال صاحب الإمامة والسياسة [٥] : «كان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد ، ولم يكن يخرج إلاَّ من الليل إلى الليل ، وكان يسمع إذا جاء وقت الأذان أذاناً ، فيخرج من قبل القبر الشريف ، حتى أمن الناس . وكان سعيد يقول : ما رأيت خيراً من الجماعة » .

ونصح له بعض الناس أن يختفي في المدينة ، أو يرتحل إلى البادية ، حين وجه مروان بن الحكم جيشاً من فلسطين مع حُبَيْش بن دلجة القيني لمحاربة عبد الله بن

---

(١) كتاب الفتوح ٦ : ٢٤٥ .

(٢) الإمامة والسياسة ٢ : ٣٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤١٥ .

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وكتاب الفتوح ٦ : ٢٨١ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٥٧ .

(٤) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٦٣ .

(٥) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٤

الزبير، فلم يستجب لنصحه، لأنه كان يريد أن يبقى مع الجماعة، قال البلاذري[1] : «بلغ أهل المدينة خبر جيش حبيش بن دلجة، فتغيَّبَ نفرٌ من الصالحين، وقيل لسعيد بن المسيب: لو تَغيَّبْتَ أو أتيت البادية! فقال: فأين فضل الجماعة؟ والله لا رآني الله والناس أخوف عندي منه».

ورفض أن يبايع لعبد الله بن الزبير إلاَّ إذا اتفقت عليه الجماعة، وبايعت له الأمة، قال الواقدي[2] : «استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن المسيب: لا، حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطاً. فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد، دعه».

ويقال[3] : «كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عاملاً على المدينة لابن الزبير، ثم عزله عنها لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً، فإنه أراد منه أن يبايع لابن الزبير، فامتنع من ذلك فضربه، فعزله ابن الزبير».

ولما صفا الأمر لعبد الملك بن مروان، وأطبق عليه الناس، بايع له سعيد بن المسيب[4] .

وبجانب فقهاء المدينة السابقين فقهاء آخرون أعربوا عن آرائهم في بعض القضايا السياسية، التي نشأت بعد موت معاوية بن أبي سفيان، وتباينت اجتهادات الفقهاء فيها، وتضاربت مواقف الناس منها، مثل قيام يزيد بن معاوية بالخلافة،

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ١٥١.

(٢) الطبقات الكبرى ٥ : ١٢٢، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤١٦، والكامل في التاريخ ٤ : ٥١٥.

(٣) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٩٣، وانظر أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٦٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٥ : ١٢٦، والإمامة والسياسة ٢ : ٥٥، ٥٦، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤١٥، والعقد الفريد ٤ : ٤٢١، والكامل في التاريخ ٤ : ٥١٤، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٦٠.

فمنهم أبو سعيد الخدري، فإنه حزن لمصرع الحسين بن علي، وأنه خالفه، ولم يقبل نصحه له بأن يحتمل يزيد بن معاوية، ولا يثور عليه، فإنه كان يقول[1] : «غلبني الحسين على الخروج، وقلت له اتق الله في نفسك، والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك».

ومنهم أبو سلمة بن عبد الرحمن الزهري، فإنه ألم لمقتل الحسين بن علي، وأنه وثق بأهل العراق، وقدم عليهم الكوفة، فخذلوه كما خذلوا أباه وأخاه من قبله، وذكر أن عبد الله بن الزبير هو الذي دفعه إلى المسير إليهم، إذ كان يقول[2] : «قد كان لحسين أن يعرف أهل العراق، ولا يخرج إليهم، ولكن شجّعه على ذلك ابن الزبير».

وأقر الحسن البصري بخلافة بني أمية، وأدرك أكثر خلفائهم من معاوية بن أبي سفيان إلى هشام بن عبد الملك، وبايع لهم، ونفَّر الناس عن الالتحاق بالثائرين عليهم، وحذَّرهم من المشاركة في الفتنة، وأمرهم باتباع الجماعة، وكان أقوى فقهاء العراق في الدعوة إلى ذلك.

وربما كانت محاورته لأبي مرداس بن أدية التميمي أقدم ما يوضح دعوته إلى طاعة بني أمية، ونَهْيَه عن التمرد في سلطانهم، فقد حاول أن يحمله على التفكير في أمره، حين عزم على الخروج على عبيد الله بن زياد، لعله يراجع نفسه، ويعدل عما عزم عليه. وتوسل إلى ذلك بسؤالٍ طرحه عليه، وطلب منه أن يجيب عنه، فعرف أبو بلال قصده، وخالف رأيه، لأنه كان يود منه أن يصبر على ظلم ابن زياد وجوره، وكان أبو بلال يعلن أنه لا يسعه المقام على ذلك[3]، قال

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٦٣.
(٢) البداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٦٣.
(٣) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٥٧، والمبرد، الكامل ٣ : ٢٤٩.

البلاذري [1] : « قال الحسن البصري لأ بي بلال : أخبرني عن رجلين خرجا في أمر ، فغشيتهما ظلمة ، فوقف أحدهما حتى انجلت الظلمة فمضى ، وتقحم الآخر الظلمة ، أيهما أصوب رأيا ؟ قال : اصوبهما عندي أخطأهما عندك » !

وقد تلطف الحسن البصري في مخاطبته لأبي بلال ، وترفق في مناظرته له ، ولم يصرح بما كان يريد منه ، لأنه كان شاباً لم يبلغ الأربعين [2] ، وكان أبو بلال أسَنَّ منه ، وكان عابداً مجتهداً ، عظيم القدر في الخوارج ، وكانت الخوارج كلها تتولاه [3] ، وكان شديد الاعتدال في مذهبه ، قال البلاذري [4] : « كان أبو بلال لا يدين بالاستعراض ، ويحرم خروج النساء ، ويقول : لا نقاتل إلا من يقاتلنا ، ولا نجبي إلا ما حمينا » .

فلما قارب الحسن البصري الستين ، وصار شيخاً كبيراً ، وفقيهاً مذكوراً ، وإماماً مشهوراً ، جعل يجهر بمخالفته للخارجين على بني أمية ، وينسبهم إلى الفرقة والضلالة ، وينهى الناس عن الاغترار بهم ، والقتال معهم ، ويحضهم على الطاعة ، والاعتصام بحبل الجماعة . وهل أدل على ذلك من إعراضه عن الانضمام إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، وامتناعه عن خلع الحجاج بن يوسف ، وعبد الملك بن مروان ، ونصحه للقراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث بالكف عن الثورة ، وحكمه عليهم أنهم أهل فتنة ؟ قال ابن أعثم الكوفي [5] : « اجتمعت القراء الذين في عسكر ابن الأشعث إلى الحسن بن يسار البصري ،

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٥٨ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ .

(٣) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٥٦ ، والكامل في التاريخ ٥١٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٥٦ ، وانظر الكامل ٣ : ٢٤٩ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٥١٨ .

(٥) كتاب الفتوح ٧ : ١٤٦ ، وانظر البداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٥ .

والحسن يومئذ مقيم بالمَفْتَح[1] ، فقالوا : يا أبا سعيد ، هات ما عندك ، وتكلم بما ترى ! فقال الحسن : إني أرى أنها فتنة ، فرحم الله عبداً اتقى ربه ، ونظر ليوم معاده » !

وهل أدل على ذلك أيضاً من معارضته لخروج يزيد بن المهلب الأزدي على يزيد بن عبد الملك ، وتَخْذِيله الناس عن مؤازرته ، واتهامه له بأنه صاحب فتنة ؟ قال أبو مخنف الأزدي[2] : « حدثني معاذ بن سعد : أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ! فدخلت أنا والحسن البصري ، وهو واضع يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغثاء ! فمضينا حتى دنونا من المنبر ، فسمعته يذكر الله وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته ، فقال : والله لقد رأيناك والياً وموَلّى عليك ، فما ينبغي لك ذلك . فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه ، فوالله ما نشك أنه سمعه ، ولكنه لم يلتفت إليه ، ومضى في خطبته . ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلاّ هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ! فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً !

وقال أبو مخنف الأزدي[3] : « حدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصري

---

(١) المفتح : قرية بين البصرة وواسط ، وهي من أعمال البصرة . (ياقوت الحموي ، معجم البلدان : مفتح) .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٨٧ ، وانظر كتاب الفتوح ٨ : ٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٧٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٨٧ ، وانظر كتاب الفتوح ٨ : ٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٧٥ .

مر على الناس، وقد اصطفوا صفين، وقد نصبوا الرايات والرماح، وهم ينتظرون خروج يزيد، وهم يقولون: يدعونا يزيد إلى سنة العمرين، فقال الحسن: إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون، ثم يسرح بها إلى بني مروان، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم. فلما غضب غضبةً، نصب قصباً، ثم وضع عليها خِرَقاً، ثم قال، إني قد خالفتهم فخالفوهم، قال هؤلاء: نعم، وقال: إني أدعوكم إلى سنة العمرين، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه».

وقال أبو مخنف الأزدي[1]: «كان مروان بن المهلب، وهو بالبصرة، يحث الناس على حرب أهل الشام، ويسرح الناس إلى يزيد، وكان الحسن البصري يُثَبِّط الناس عن يزيد بن المهلب».

وقال أبو مخنف الأزدي[2]: «حدثني عبد الحميد البصري أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام: أيها الناس، الزموا رحالكم[3]، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير، ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض، إنه لم تكن فتنة إلاَّ كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء، وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلاَّ المجهول الخَفِيُّ، والمعروفُ التَقِيُّ، فمن كان منكم خفياً فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً، وكفى له بها من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفاً شريفاً، فَتَرَكَ ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فواها لهذا! ما أسعده وأرشده،

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٩٣، وانظر كتاب الفتوح ٨: ١٣، والكامل في التاريخ ٥: ٨٠.
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٩٤، وانظر كتاب الفتوح ٨: ١٣.
(٣) الرحل: منزل الرجل ومسكنه وبيته.

وأعظم أجره، وأهدى سبيله! فهذا غداً ــ يعني يوم القيامة ــ القرير عيناً، الكريم عند الله مآباً».

وبلغ مروان بن المهلب أن الحسن البصري يثبط الناس، فأغلظ له في القول، وتهدده بالقتل، فقال الحسن[1]: «والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت، لمنعناك، فقال لهم، فقد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه! آمركم ألاّ يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضا دوني! فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم، وطلبهم حتى تفرقوا. ولم يَدَع ِالحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب».

وقال ابن كثير[2]: «كان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة، وينهاهم أشد النهي، وذلك لِمَا وقع من القتال الطويل العريض في ايام ابن الأشعث، وما قُتِلَ بسبب ذلك من النفوس العديدة. وجعل الحسن يخطب الناس، ويعظهم في ذلك، ويأمرهم بالكف».

والأخبار السابقة شواهد قاطعة على اعتراف الحسن البصري بخلافة بني أمية، ونَهْيه عن الخروج عليهم، لأنه فتنة، وحَضِّه على الطاعة ولزوم الجماعة، لأنه يحفظ مصلحة الأمة[3].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٩٤، وانظر كتاب الفتوح ٨: ١٣، والكامل في التاريخ ٥: ٨١.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ٢٢٠.

(٣) لعل من المفيد أن يشار إلى أن الحجاج بن يوسف ظن أن أنس بن مالك الأنصاري، وهو صحابي جليل انتقل من المدينة إلى البصرة، قد حَضَّ الناس على الخروج عليه مع ابن الأشعث، فاستهان الحجاج به، وأساء إليه، قال ابن كثير: «ناله أذى من جهة الحجاج، وذلك في فتنة ابن الأشعث، توهّم الحجاج منه أنه له مداخلة في الأمر، وأنه أفتى فيه، فختمه الحجاج في عنقه». (البداية والنهاية في التاريخ ٩: ٨٩).

وقد تبرأ أنس مما نسبه الحجاج إليه، وشكاه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجاج=

وسلّم سعيد بن جبير الأسدي الكوفي بخلافة بني أمية، وبايع لخلفائهم الذين عاصرهم، وصدّ أصحاب ابن الأشعث في أول الأمر عن المضي في الخروج على الحجاج بن يوسف، وَرَدعهم عن خلعه، وبَصّرهم بعواقب الانخراط في الفتنة.

ويُرْوَى أنه صنع ذلك حين أرسله الحجاج إلى ابن الأشعث، وسأله أن ينهاه عن المعصية ومفارقة الجماعة [١]، ولكن أصحاب ابن الأشعث حرضوه على الحجاج، وألحوا عليه أن ينضم إليهم، فاستجاب لهم، وحارب معهم عن غير رضاً منه، قال صاحب الإمامة والسياسة [٢]: «قدم عليهم سعيد بن جبير، فقالوا له: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، فما الرأي؟ قال: الرأي أن تكفوا عما تريدون، فإن الخلع فيه الفتنة، والفتنة فيها سفك الدماء، واستباحة الحرم، وذهاب الدين والدنيا! فقالوا: إنه الحجاج، وقد فعل ما فعل، فذكروا أشياء، ولم يزالوا به حتى سار معهم، وهو كاره».

ولما قُبِضَ على سعيد، وسيق إلى الحجاج، ذكر له أنه أجبر على الخروج، وأنه يتمسك بالجماعة، وينكر الفتنة، قال صاحب الإمامة والسياسة [٣]: قال له الحجاج: «أنا أحب إلى الله منك! قال سعيد: لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم. قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي

= يُعَنِّفُهُ ويأمره أن يسير إلى أنس، ويعتذر إليه، ففعل. (البيان والتبيين ١: ٢٩٦، وابن بكار، الأخبار الموفقيات ص: ٣٣٠، وأبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال ص: ٣١٣، والعقد الفريد ٥: ٣٦، وابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٥١، ٤: ٧٦، والكامل في التاريخ ٤: ٣٨٥، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٩١، ١٣٣، والقلقشندي، صبح الأعشى ٦: ٣٨٩، ٤٧٨).

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٤٠، ٤١.

(٢) الإمامة والسياسة، ٢: ٣٣.

(٣) الإمامة والسياسة ٢: ٥٣.

هذا ، وأنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة ؟ قال سعيد : ما أنا بخارج عن الجماعة ، ولا أنا براض عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له » .

وتتفق جميع الروايات على أن سعيداً أخبر الحجاج حين أتي به إليه أنه أُكْرِهَ على الخروج إكراهاً ، فلم يقبل قوله ، وأمر بقتله ، قال الواقدي (١) : أخبرنا علي ابن محمد عن أبي اليقظان قال: « لما انهزم أهل دير الجماجم ، لحق سعيد بن جبير بمكة ، فأخذه خالد بن عبد الله فحمله إلى الحجاج ، ...... ، فقال له : ألم أقدم العراق فأكرمتك ؟ وذكر أشياء صنعها به . قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال : كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي ، وعُزِمَ علي . فغضب الحجاج ، وقال : رأيتَ لعدو الله عزمةً لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي ! والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك ، وأعْجِلَـكَ إلى النار ! فقام مسلم الأعور ، ... ، فضرب عنقه » .

وقال ابن سعد (٢): « أخبرنا وهب بن جرير بن حازم قال : حدثني أبي قال : سمعت الفضل بن سويد يحدث : ... ، بعثني الحجاج في حاجة ، فقيل : قد جيء بسعيد بن جبير ، فرجعت لأنظر ما يصنع به ، فقمت على رأس الحجاج ، فقال له الحجاج : يا سعيد ألم أستعملك ؟ ألَمْ أشركك في أمانتي ؟ قال : بلى ، قال ، حتى ظننا أنه سيخلي سبيله . قال : فما حملك على أن خرجت علي ؟ قال : عزم علي . قال : فطار الحجاج شِقّتين (٣) غضباً ، قال : هيه ! أفرأيت لعزمةِ عدو الرحمن عليك حقّا ، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين عليك حقاً ! اضربا عنقه ، فضربت عنقه » .

---

(١) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٦٥ ، وانظر كتاب الأوائل ص : ٢٥٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٦٥ ، وتاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٨٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٩٦ .

(٣) الشقة : الشظية .

وقال أبو بكر الباهلي ، سمعت أنس بن أبي شيخ يقول[1] : «لمَّا أتيَ الحجاج بسعيد بن جبير ، ... ، قال : يا سعيد ، ما أخرجك علي ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! أنما أنا امرؤ من المسلمين ، يخطىء مرة ، ويصيب مرة ، فطابت نفس الحجاج ، وتَطـلّـقَ وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، فعاوده في شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة في عنقي . فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة ، فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذتُ بيعة أهلها ، وأخذتُ بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق ، فجددت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذتُ بيعتك له ثانية ! قال : فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين ، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك ! اضربا عنقه » .

وأقر عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي بخلافة بني أمية ، وشهد خلفاءهم من معاوية بن أبي سفيان إلى يزيد بن عبد الملك ، وبايع لهم . وكان يأمر بطاعة الأئمة[2] ، وينهى عن الفرقة والفتنة . وكان له مكانة رفيعة عند الحجاج بن يوسف[3] ، ولكن قراء أهل الكوفة حملوه على الخروج عليه مع ابن الأشعث ، قال الشعبي[4] : «لم أزل عنده في أحسن منزلة ، حتى كان عبد الرحمن بن الأشعث ، فأتاني قراء أهل الكوفة ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إنك زعيم القوم ، فلم يزالوا بي حتى خرجت معهم ، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء قد علمتها » .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٩٠ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٩٠ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٩٧ . وانظر المعارف ص : ٤٤٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٧٢ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٧٧ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ١٣ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٤٣ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٥٢ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٥٢ .

فلما هزم ابن الأشعث ، وجيء بالشعبي إلى الحجاج ، أو جاءه بنفسه راجياً أن يغفر له ، ويعفو عنه ، أعلن ندمه على مخالفته ومحاربته ، واعترف بجرمه وخطيئته ، واتهم أصحاب ابن الأشعث بالمعصية والضلالة ، فرضي بذلك منه ، وصفح عنه ، قال ابن سعد (١) : «كان الشعبي فيمن خرج مع القراء على الحجاج ، وشهد دير الجماجم ، وكان فيمن أفلت فاختفى زماناً وكان يكتب الى يزيد بن أبي مسلم أن يكلم فيه الحجاج ، فأرسل إليه : إني والله ما أجترىء على ذلك ، ولكن تحيَّن جلوسه للعامة ، ثم ادخل عليه حتى تمثل بين يديه ، وتكلَّم بعذرك ، وأقرَّ بذنبك ، واستشهدني على ما أحببت ، أشهد لك . ففعل الشعبي ، فلم يشعر الحجاج إلاّ وهو قائم بين يديه . قال له : الشعبي ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! قال : ألم أقدم البلد وعطاؤك كذا وكذا ، فزدتك في عطائك ، ولا يُزادُ مثلك ؟ قال : بلى ، أصلح الله الأمير ! قال : ألم أعرّفك على قومك ، ولا يعرّف مثلك ؟ قال : بلى ، أصلح الله الأمير ! قال : ألم أوفّدك على أمير المؤمنين ، ولا يوفّد مثلك ؟ قال : بلى ، أصلح الله الأمير ! قال : فما أخرجك مع عدو الرحمن ؟ قال : أصلح الله الأمير ! خبطتنا فتنة ، فما كنا فيها بأبرار أتقياء ، ولا فجّار أقوياء ! وقد كتبت إلى يزيد بن أبي مسلم أعلمه ندامتي على ما فرط مني ، ومعرفتي بالحق الذي خرجت منه ، وسألته أن يخبر بذلك الأمير ، ويأخذ لي منه أماناً فلم يفعل . فالتفت الحجاج إلى يزيد فقال : أكذلك يا يزيد ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! قال : فما منعك أن تخبرني بكتابه ؟ قال : الشغل الذي كان فيه الأمير . فقال الحجاج : أولاً ، انصرف ، فانصرف الشعبي إلى منزله آمناً .

وقال أبو مخنف الأزدي (٢) : قال الشعبي : «كنت لابن أبي مسلم صديقاً ،

---

(١) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٤٩ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٣٧٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٩٣ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤ ، وانظر مروج الذهب ٣ : ١٥٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٥٢ .

فلما قدم بي على الحجاج ، لقيت ابن أبي مسلم ، فقلت : أشر علي ! قال : ما أدري ما أشير به عليك غير أن اعتذر ما استطعت من عذر ! وأشار بمثل ذلك علي نصحائي وإخواني . فلما دخلت عليه ، رأيت والله غير ما رأوا لي ، فسلمت عليه بالإمرة ، ثم قلت : أيها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن اعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلاّ حقاً ! قد والله تمردنا عليك ، وحرّضنا وجهدنا عليك كل الجهد ، فما ألونا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد ، فالحجةُ لك علينا ! فقال له الحجاج : أنت والله أحب إليَّ قولاً ممن يدخل علينا ، يقطر سيفه من دمائنا ، ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت ! قد أمنت عندنا يا شعبي ، فانصرف ! فانصرفت ، فلما مشيت قليلاً ، قال : هلم يا شعبي ، قال : فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله : قد أمنت يا شعبي ، فاطمأنت نفسي ، قال : كيف وجدت الناس يا شعبي بعدنا ؟ وكان لي مكرماً ، فقلت : أصلح الله الأمير ! اكتحلت والله بعدك السهر ، واسْتَوْعَرْتُ الجَنابَ[١] ، واسْتَحْلَسْتُ الخوفَ[٢] ، وفقدت صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خلفاً . قال : انصرف يا شعبي ، فانصرفت » .

وكان فقهاء الشام أشد دعوةً إلى طاعة بني أمية ، وأكثر متابعةً لهم[٣] ، مَثَلُهم في ذلك مثل أهل الشام ، فإنهم جميعاً كانوا معروفين بحسن الولاء والوفاء لخلفائهم[٤] . وكانوا يناهضون كل من شهر السيف عليهم ، وأراد التطويح بهم ،

---

(١) استوعرت الجناب : رأيت ناحية المكان غليظة خشنة فلم استرح .

(٢) استحلست الخوف : لازمني الخوف فلم آمن .

(٣) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ١ : ١٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٦ ، ٢١ ، والمقدسي ، البدء والتاريخ ٤ : ٥٩ ، وابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ص : ٣١٥ ، ومعجم البلدان : خراسان ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٤٨٩ .

(٤) البيان والتبيين ١ : ٣٠٣ ، والكامل ٣ : ١٦٩ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ : ٥٠٣ ، وابن =

وكانوا ينسبونه إلى خلع الطاعة ، ومخالفة الجماعة . وكانوا يُنددون برؤساء الجماعات المعارضة لهم كمرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، لأنهم لم يكونوا يخالفون معتقدات الأمة الدينية فحسب (١) ، بل كانوا يشيرون إلى مساوىء بني أمية السياسية ، ويرومون انتزاع الخلافة منهم (٢) . فكان فقهاء الشام يجرمونهم ويكفرونهم ، ويفتون بقتلهم (٣) .

ولذلك كان بعض فقهاء العراق لا يبرىء أجلَّ فقهاء الشام من عاطفة حزبية أموية ، ولا ينزهه عن نزعة إقليمية شامية ، مثل رجاء بن حيوة الكندي الأردني ، وكان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم (٤) ، وكان من عباد أهل الشام وزهادهم (٥) ، قال مطر بن طهمان السلمي البصري (٦) : « ما لقيتُ شامياً أفضلَ من رجاء بن حيوة إلاّ إذا حركته وجدته شامياً » .

وهل أدل على ميل فقهاء الشام إلى بني أمية من أنهم ظلوا يدافعون عنهم بعد

= عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٠٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٤٢ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٢ : ١٨٩ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة ١ : ٥٢٤ .

(١) انظر الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٣٦ ، ٨٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٩٥ ، ومقالات الإسلاميين ٢ : ١٣٦ ، وفرق الشيعة ص : ٩ ، ١٠ ، والفرق بين الفرق ص : ٢١١ ، والملل والنحل ١ : ٩١ ، ١٤٣ ، والحور العين ص : ١٥٣ ، وفخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص : ٦٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣ .

(٣) أنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٠٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٠٣ ، والعقد الفريد ٢ : ٣٧٩ ، وأبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٥ : ١٧١ ، وتاريخ مدينة دمشق المخطوط ١٤ : ٩٦ ، ٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٢٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، وابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ٣ : ١٧٠ ، ٤ : ٤٢٤ ، ٤٣٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ٧ : ٤٥٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣١٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٣٠٩ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ ، وابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ١ : ٢٤٨ ، وابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٧١ .

(٥) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص : ١٣٩ ، ومجهول ، العيون والحدائق ٣ : ١١ ، ٣٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٦ .

سقوط دولتهم؟ وآية ذلك أن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الدمشقي، وكان إمام أهل الشام في زمانه [1]، حرَّم قتل بني أمية ومصادرتهم، وأنكر على عبد الله ابن علي غدره بهم، وسفكه لدمائهم، وأبى أن يعترف بحق بني العباس في الخلافة! قال ابن أبي حاتم الرازي: قال الأوزاعي [2]: «أدخلت على عبد الله ابن علي، وأصحاب الخشب وقوف، فأجلست على كرسي فقال لي: ما تقول في دماء بني أمية؟ فأخذت في حديث غيره، فقال لي: ارجع، ويلك! دمائهم؟ قلت: ما تحل لك! قال: لم؟ ويلك! قلت: لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعث محمد بن مسلمة [3]، وأمره أن يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا دِماءَهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله. فقال: ويلك! أليست لنا الخلافة وراثةً من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قاتل عليها علي بن أبي طالب بصفين؟ قلت: لو كانت الخلافة من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذاً ما رضي علي بالحكمين! فقال لي: اخرج، ويلك! فما ظننت أني أحمل إلاَّ ميتاً».

---

(١) حلية الأولياء ٦: ١٣٥، والشيرازي، طبقات الفقهاء ص: ٧٦، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٩٩، ووفيات الأعيان ٣: ١٢٧، والذهبي، تاريخ الإسلام ٦: ٣٣٧، وتذكرة الحفاظ ١: ١٧٨، والبداية والنهاية في التاريخ ١٠: ١١٧، وتهذيب التهذيب ٦: ٢٣٩، وشذرات الذهب ١: ٢٤١.

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص: ٢١٢، وانظر حلية الأولياء ٦: ١٤١، وتذكرة الحفاظ ١: ١٨٠، والبداية والنهاية في التاريخ ١٠: ١١٨.

(٣) محمد بن مسلمة الأنصاري، من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وأحداً، وكان فيمن ثبت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يومئذ حين ولى الناس، وحضر معه الخندق والمشاهد كلها ما خلا تبوك، فإنه استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك. واعتزل الخلاف بين علي ومعاوية بعد مقتل عثمان بن عفان، ومات بالمدينة سنة ست وأربعين أو بعدها. (انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ٣: ٤٤٥، وابن خياط، طبقات خليفة بن خياط ١: ١٨٥، والمعارف ص: ٢٦٩، والجرح والتعديل ٤: ١: ٧١، والاستيعاب ٣: ١٣٧٧، وابن الأثير، أسد الغابة ٤: ٣٣٠، والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ٢٥، والإصابة ٣: ٤٠١، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٥٤، وتقريب التهذيب ٢: ٢٠٨، والنجوم الزاهرة ١: ١٢٥، وشذرات الذهب ١: ٥٣٥).

— ٤ —
« نصح الفقهاء بالصبر على أمية »

ذعا بعض الفقهاء في العصر الأموي إلى الخضوع للخليفة المبايع ، والقبول بالأمر الواقع ، فأوصوا الناس بالصبر على بني أمية وعمالهم ، والاستكانة لهم ، وأشاروا عليهم بالسكوت عما ألحقوه بهم من الأذى والمكروه ، والاحتمال لما صبوه عليهم من الظلم والجور ، ونصحوا لهم بالتضرع إلى الله ، عسى أن يلطف بهم ، ويخفف عنهم !

ومن فقهاء المدينة الذين ذهبوا هذا المذهب عبد الله بن عمر ، فإنه كان يقول [١] : « إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً فله الوزر وعليك الصبر » .

وقال خليفة بن خياط [٢] : « قال ابن عمر حين بويع يزيد بن معاوية : إن كان خيراً رضينا ، وإن كان بلاءً صبرنا » .

وقال ابن أعثم الكوفي [٣] : قال ابن عمر للحسين بن علي لما امتنع عن البيعة ليزيد بن معاوية : « اتق الله الذي إليه معادك ، فقد عرفت عداوة أهل هذا البيت لكم ، وظلمهم إياكم ، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية ، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلوك ، .... ،

---

(١) نهاية الأرب ٦ : ٣٤ .
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥٧ .
(٣) كتاب الفتوح ٥ : ٣٨ .

وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس ، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل ، فلعل الله يحكم بينك وبين القوم الظالمين » .

ومن فقهاء العراق الذين ذهبوا هذا المذهب أنس بن مالك الأنصاري البصري ، قال أحمد بن حنبل : قال الزبير بن عدي الهمداني الكوفي [1] : « شكونا إلى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا ، فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلاّ الذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، سمعته من نبيكم ، صلى الله عليه وسلم » .

ومنهم الحسن البصري ، فإنه لما أبى عبد الله بن الزبير أن يبايع لعبد الملك ابن مروان ، نصح له الحسن البصري أن يَتَجَلَّدَ ويَتَصَبَّرَ ، وأن يُسلّم بالقدر ، روى المدائني [2] : « أن الحسن كتب إلى ابن الزبير : إن لأهل الخير علامات يعرفون بها ، ويعرفونها من أنفسهم ، فمنها الصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، وإنما الإمام سوق ، فما نفق فيها حمل إليها ، فانظر أي سوق سوقك » .

ولما كثر تذمر أهل العراق من الحجاج بن يوسف ، وأرادوا الوثوب به ، أشار عليهم الحسن البصري أن يُوَطنوا أنفسهم على احتمال الشدة ، وأن يركنوا إلى الهدوء ، ويبتهلوا إلى الله ، قال أيوب السَّختياني البصري [3] : « كان الحسن يقول : إنما هو نقمة ، فلا تقابل نقمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع » .

ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ، ويظهر أنه مال إلى هذا المذهب ، وجعل يبشر به ، بعد أن غفر له الحجاج بن يوسف خروجه عليه مع ابن الأشعث ،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٥ .
(٢) أنساب الأشراف ٥ : ١٩٦ .
(٣) البداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٥ .

وحقن دمه [١]، فكان بعد ذلك ينكر على أهل العراق تَضجُّرَهم من الحجاج، ويدعوهم إلى الصبر عليه والرضا به، ويذكر أنهم لن يقدروه حق قدره إلاَّ إذا ابتلوا بغيره، قال سفيان الثوري الكوفي [٢]: قال الشعبي: «يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج»! وقال الفضل بن دكين الكوفي [٣]: قال الشعبي: «والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج»!

والراجح أن أولئك الفقهاء اجتهدوا هذا الرأي، وصار لهم كالمذهب، به يأخذون، وعنه يصدرون لسببين [٤]: الأول ما ورد في الذكر الحكيم من آيات توجب طاعة الخلفاء والأمراء، كقوله تعالى [٥]: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، فقرنَ طاعةَ أولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله.

والثاني ما روي عن الرسول الكريم من أحاديث تدعو إلى طاعة الخلفاء والأمراء، وتَحُضُّ على تعظيمهم وتوقيرهم، وتأمر بالصبر على تَحكّمهم وتَجبُّرهم، وتحذر من الخروج على سلطانهم وأمرهم. وهي أحاديث كثيرة، وردت طائفة كبيرة منها في كتب الصحاح الستة، وقد أثبت مسلم بن الحجاج خاصة معظم ما صحّ منها في كتاب الإمارة، وروى بعضها في باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية [٦]، وروى بعضها في باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول [٧]، وروى بعضها في باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ١٣٧.
(٢) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ١٣٥.
(٣) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ١٣٥.
(٤) انظر نهاية الأرب ٦: ٩.
(٥) النساء: ٥٩.
(٦) صحيح مسلم ٣: ١٤٦٥.
(٧) صحيح مسلم ٣: ١٤٧١.

واستئثارهم [١] ، وروى بعضها في باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق [٢] ، وروى بعضها في باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة [٣] ، وروى بعضها في باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع [٤].

ورويت بعض تلك الأحاديث عن الفقهاء الذين سلفت أسماؤهم ، وسبقت أخبارهم في أمر الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ، ونهيهم عن الخروج على الأئمة والدخول في الفتنة ، ونصحهم بالانصياع لبني أمية وعمالهم ، والاحتمال لتسلطهم وتعسفهم ، فقد روى ابن عباس حديث [٥] : « من كره من أميره شيئاً فليصبر » ، وتقدم أن ابن عمر روى حديث [٦] : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لا حجة له »، وروى أيضا حديث [٧] : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ».

وروى أنس بن مالك حديث [٨] : « إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا » ، وروى الحسن البصري حديث [٩] : « إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع » ، قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما صلوا » [١٠].

---

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٤ .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٤ .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٥ .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٩ .

(٥) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ .

(٦) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٨ .

(٧) صحيح مسلم ٣ : ١٤٦٩ .

(٨) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٤ .

(٩) صحيح مسلم ٣ : ١٤٨٨ .

(١٠) المعنى أنه من كره المنكر بقلبه ، فقد برىء من إثمه وعقوبته ، وكذلك من أنكره بقلبه ، وذلك =

وروى الأوزاعي الدمشقي حديث[1] : «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » ، قيل : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولا تكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة » .

ولذلك ألح أولئك الفقهاء على الناس أن يخضعوا لبني أمية وعمالهم ، ويصبروا على مفاسدهم ومساوئهم ، إلاَّ إذا غيَّر أحدهم الملة ، فإنه يجب خلعه وقتله .

= أضعف الإيمان ، لأن صاحبه لا يستطيع رد المنكر بيده ولا لسانه ، ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع ، وأنه لا يجوز الخروج على الخلفاء لظلمهم وفسقهم ، بل يجوز ذلك إذا بدلوا بعض قواعد الإسلام .

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٨١ .

ـ ٥ ـ
« عمل الفقهاء مع بني أمية »

أعرض قليل من الفقهاء عن العمل مع بني أمية وولاتهم تورعاً وتحرجاً ، إذ كان بعضهم يخاف أن يُجَانِبَ الصوابَ في العمل ، فيقع في الإثم ، وكان بعضهم يخشى أن يضطر إلى العمل بغير الحق ، فيشارك بني أمية وولاتهم في الظلم ، فقد أراد الوليد ابن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد الهمداني الدمشقي القضاء ، فرفض[(١)] ، وأحب الحجاج بن يوسف أن يولي أبا قُـلاَبَةَ الجرمي البصري القضاء ، فَفَرَّ إلى الشام[(٢)] . ورغب عمر بن عبد العزيز أن يولي هانىء بن كلثوم الكناني الفلسطيني القضاء ، فاستعفى[(٣)] ، ورغب أيضاً أن يولي مكحولاً الدمشقي القضاء ، فأبى[(٣)] ، وكان مكحول يقول[(٤)] : « لأنْ تضرب عنقي أحبُّ إليَّ من أن ألي القضاء » .

وسأل سليمان بن عبد الملك أبا سلمة حازم بن دينار المخزومي المدني أن يصحبه ويتوجه معه إلى دمشق ، ليكون من خاصته وأهل مشورته ، فلم يقبل ، وقال[(٥)] : « أعوذ بالله من ذلك ! قال سليمان : ولم يا أبا حازم ؟ قال : أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا ، فيذيقني الله ضَعْفَ الحياة وضَعْفَ الممات ! قال سليمان : فتزورنا ؟ قال أبو حازم : إنا عَهِدْنا الملوك يأتون العلماء ، ولم يكن العلماء

---

(١) حلية الأولياء ٥ : ١٦٤ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٣٥٩ .
(٢) الطبقات الكبرى ٧ : ١٨٣ ، وحلية الأولياء ٢ : ٣٨٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٤٢٩ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٩٤ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٢٦ .
(٣) حلية الأولياء ٦ : ١١٩ .
(٤) العقد الفريد ١ : ٢٢ .
(٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٠٧ ، وانظر حلية الأولياء ٣ : ٢٣٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٢٣ .

يأتون الملوك ، فصار في ذلك صلاح الفريقين ، ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك ، والملوك تَقْعُدُ عن العلماء ، فصار في ذلك فساد الفريقين جميعا » !

وكان الأعمش سليمان بن مهران الكوفي القارىء المحدث الفقيه الحافظ (١) مُزْوَّراً عن بني أمية وولاتهم ، نافراً من أن يتولى أيَّ عمل لهم ، أو أن يُلِمَّ بأحد منهم ، قال يحيى بن معين المريُّ البغداديُّ (٢) : « الأعمش فقيرٌ صَبُورٌ مُجانِبٌ للسلطان ، وَرِعٌ عالمٌ بالقرآن » .

وبعث عمر بن عبد العزيز إلى هانىء بن كلثوم الكناني يَسْتَخْلِفُهُ على فلسطين ، فاستنكف (٣) . وعزم هشام بن عبد الملك أن يستعمل إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ العقيلي الفلسطيني على خراج مصر ، فامتنع (٤) .

ولكن جمهور الفقهاء اتصلوا ببني أمية وولاتهم ، وعملوا معهم ، وكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلك يُمكّنهم من إزالة الظلم ، وإقامة العدل ، وإصلاح الأمر .

ولا يتسع المقام لذكر جميع الأعمال التي أسندت إلى الفقهاء ، ولا لحصر كل من تولاها منهم في العصر الأموي ، فقد تنوعت الأعمال التي عهد بها إليهم ، وكثر من استعمل عليها منهم ، ولعل الاقتصار على أمثلة معدودة من ذلك يدل على المراد ، ويغني في هذا المقام .

---

(١) الطبقات الكبرى ٦ : ٣٤٢ ، والتاريخ الكبير ٢ : ٢ : ٣٨ ، والمعارف ص : ٤٨٩ ، والجرح والتعديل ٢ : ١ : ١٤٦ ، وحلية الأولياء ٥ : ٤٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٣ ، وطبقات الفقهاء ص : ٨٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠٠ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ١٠ : ١٠٥ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٣١٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٣١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٥ .

(٣) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٢ .

(٤) حلية الأولياء ٥ : ٢٢٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٢٠ .

فمن الفقهاء من تولّى بعض الأمصار، مثل المغيرة بن شعبة الثقفي المدني، والضحاك بن قيس الفِهْري الدمشقي، والنعمان بن بشير الأنصاري الدمشقي، وهم من فقهاء الصحابة، وكلهم تولّى الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان [1].

وتولّى الحكم بن عمرو الغفاري البصري خراسان لزياد بن أبيه [2]، وهو صحابي فقيه ورع تقي [3]. وقد أدنى زياد طائفة من فقهاء الصحابة، واستعملهم [4].

وكان عبادة بن نُسَيٍّ الكِنْديُّ الأردنيُّ الفقيه والي عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز على الأردن [5]. وكان إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي الدمشقي القارىء المُحَدِّثُ الفقيه الثقة والي إفريقية لعمر بن عبد العزيز، وكان حسن السيرة، فأسلم كثير من البربر في ولايته [6]. وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني الفقيه والي سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز على المدينة [7].

ومن الفقهاء من تَقلّد بيت المال والخراج، مثل ميمون بن مهران الجزري، قال ابن سعد [8]: «كان ميمون والياً لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١: ٢٦٥، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ١٧٢، ٣٠٠، ٣١٥.

(٢) أنساب الأشراف ٤: ١: ١٩٢، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٢٢٥، والكامل في التاريخ ٣: ٤٥٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٧: ٢٩، وأنساب الأشراف ٤: ١: ١٩٢، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٢٥٢، والكامل في التاريخ ٣: ٤٧٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥: ٢٢٤، والكامل في التاريخ ٣: ٤٥١.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧: ٢١٨.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٤٦٦، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ٣٠، وتهذيب التهذيب ١: ٣١٨.

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١: ٤٢٨، ٢: ٤٦٤، وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٢٢، ٥٥٤، وتهذيب التهذيب ٢: ٣٩.

(٨) الطبقات الكبرى ٧: ٤٧٨، وانظر تهذيب التهذيب ١: ٣٩١.

وابنه عمرو بن ميمون على الديوان ، .... ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج ، فكتب إليه عمر : إنما هو درهم تأخذه من حقه ، فما استعفاؤك من هذا ؟ فلم يزل على الخراج أيام عمر بن عبد العزيز ، حتى مات عمر ، واستخلف يزيد بن عبد الملك ، فكان ميمون واليه على الخراج أشهراً . وقد كان ميمون ولي قبل ذلك بيت المال بحران لمحمد بن مروان » .

وكان شهر بن حوشب الأشعري الحمصي ثم البصري القارىء المحدث الفقيه العالم (١) على خزائن يزيد بن المهلب بخراسان (٢) . وتولى عبد الله بن وَألان العدوي الفقيه المغانمَ والمقاسمَ لقتيبة بن مسلم الباهلي يوم فتح بيكند (٣) . ولما دخل أسد بن عبد الله القسري الخُتَّلَ ، كان على الأقباض عثمان بن شباب الهَمْدَاني الفقيه (٤) .

وكان أهل الشام وقادتهم يرجعون إلى الأوزاعي الدمشقي في مغازيهم ومغانمهم من الروم ، وهو صاحب مذهب في الفقه (٥) . وقد وضع كتاباً في السِّيَرِ ، نقله الشافعي برمته (٦) . وهو يتألف من ثلاثة وأربعين باباً ، تتضمن نظام الحرب وأحكام المقاسم في الإسلام (٧) .

ومن الفقهاء من تولَّى الشرطة ، مثل خالد بن معدان الكلاعي الحمصي ، فإنه

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٧١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٣٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٤٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٧٠ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٣١ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٢٩ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ١١٤ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١ : ١٨٢ ، وتاريخ الإسلام ٦ : ٣٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ٣٤٣ ، وكتابي الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ص ١٨٩ .

(٦) كتاب الأم ٧ : ٣٣٣ — ٣٦٩ .

(٧) الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ١٩٢ .

كان على شرطة يزيد بن معاوية [١] . وكان خالد بن اللَّجلاج العامري الدمشقي الفقيه العابد [٢]، على شرطة الوليد بن عبد الملك [٣] . وكان الحجاج بن أرطاة النخعي الكوفي الفقيه على شرطة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز [٤] .

ومن الفقهاء من تقلَّد المظالم ، مثل عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ، فإنه كان على مظالم بشر بن مروان بالكوفة [٥] .

ومن الفقهاء من عمل في ديوان الرسائل ، مثل قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي ، وروح بن زنباع الجذامي الفلسطيني ، فإنهما كانا يكتبان لعبد الملك بن مروان [٦] .

ومن الفقهاء من كان له مكانة خاصة عند بني أمية وعمالهم ، وكان يعمل كالمستشار لهم ، مثل روح بن زنباع الجذامي الفلسطيني ، فقد «كان عبد الملك ابن مروان يستشيره في أموره» [٧] ، وكان له كالوزير لا يكاد يفارقه [٧] . وكان عبد الملك معجباً به إعجاباً شديداً ، فكان يقول [٨] : «جمع أبو زرعة طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز» .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٨٩ .

(٢) البخاري ، التاريخ الكبير ٢:١ : ١٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٨٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١١٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٧٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٥ : ١٨٢ .

(٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص : ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) البداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٥٣ .

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٤٣ ، وأسد الغابة ٢ : ١٨٩ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٩٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٥٥ .

(٨) البيان والتبيين ٢ : ٦٣ ، والكامل ٣ : ١٦٩ ، والوزراء والكتاب ص : ٣٥ ، والاستيعاب ٢ : ٥٠٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٤٢ ، وأسد الغابة ٢ : ١٨٩ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٩٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٥٣ ، والإصابة ١ : ٥٢٤ .

وكان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي من ثقاة عبد الملك بن مروان، وأهل مشورته، وكان له منزلة كبيرة عنده لعلمه وأمانته، فإنه كان رفيقه في الدراسة بالمدينة، وكان نظيره في المعرفة بالفقه[(١)]، قال مؤلف الإمامة والسياسة[(٢)]: «كان أحد الفقهاء، وكان رضيع عبد الملك بن مروان، وصاحب خاتمه ومشورته».

وقدّم سليمان بن عبد الملك الفقهاء، وأجلهم وتطامن لهم[(٣)]، وكان يستشيرهم، ويقطع أكثر الأمور بآرائهم[(٤)]. وقد غلب عليه منهم رجاء بن حيوة الكندي الأردني[(٥)]، قال ابن عبد الحكم[(٦)]: «كان من أعبد أهل زمانه، وكان مرضياً حكيماً، ذا أناة ووقار، وكان الخلفاء يعرفونه بفضله، فيتخذونه وزيراً ومستشاراً، وقيّماً على عمالهم وأولادهم، وكانت له من الخاصة والمنزلة عند سليمان بن عبد الملك ما ليس لأحد، يثق به، ويستريح إليه».

وكان عهد عمر به عبد العزيز عهد الفقهاء خاصة، فإنه دعاهم إليه، فأحاطوا به، وجعل يرجع إليهم ويستفتيهم، ويُمْضي الأمور بحكمهم[(٧)]، قال ابن الأثير[(٨)]: «لما ولي عمر بن عبد العزيز، ....، انقشع عنه الشعراء والخطباء،

---

(١) أنساب الأشراف المخطوط ١: ١١٦٣، والبغدادي، تاريخ بغداد ١٠: ٣٨٩، وطبقات الفقهاء ص: ٦٣، وتاريخ مدينة دمشق المخطوط ١٠: ٢٥٣، وابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ٢: ٤٠٢، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٦٢، والسيوطي، تاريخ الخلفاء ص: ٢١٦.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ٢٧، وانظر النجوم الزاهرة ١: ٢١٤.

(٣) الإمامة والسياسة ٢: ١٠٥، ١٠٦، وحلية الأولياء ٣: ٢٣٥، ووفيات الأعيان ٢: ٤٢٢، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٢٣٧.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف ص: ٢٧٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٩.

(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١٣٩، والعيون والحدائق ٣: ٣٨.

(٧) الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص: ٣١٨.

(٨) الكامل في التاريخ ٥: ٦٣.

وثبت عنده الفقهاء والزهاد ، وقالوا : لا يسعنا أن نفارق هذا الرجل ، حتى يخالف قوله وفعله » . وقد غلب عليه منهم رجاء بن حيوة الكندي الأردني[1] . وكان محمد بن مسلم الزهري المدني الدمشقي من أصحابه وجلسائه[2] ، وهو فقيه حافظ متثبِّتٌ مقدَّم[3] ، وكان يسمى عالم الحجاز والشام[4] . وكان إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي الفلسطيني القارىء المحدث الفقيه الثقة[5] محبباً إلى عمر بن عبد العزيز ، مأموناً لديه ، قال[6] : « كنت له ناصحاً ، وكان مني مستمعاً » .

وكان ابن شهاب الزهري ، وابن أبي عبلة العقيلي مُقرَّبَيْن إلى هشام بن عبد الملك ، أثِيرَيْن عنده ، وكان يشاورهما في بعض شؤون الدولة[7] .

وكان الفقهاء من أهل الأمصار لا يترددون أن يشيروا على ولاتهم ، بل إن بعض الولاة سألوهم أن يشيروا عليهم ، وممن فعل ذلك منهم مروان بن الحكم ، فإنه لما ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، لم يكن يقطع أمراً إلاّ برأي مَنْ بقي فيها من فقهاء الصحابة ، قال ابن سعد[8] : « كان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يستشيرهم ، ويعمل بما يجمعون له

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٨ .

(٢) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ المخطوط ٥ : ١٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٣٤١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٩ .

(٥) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١٩ ، وكتابي القراءات القرآنية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ١٩٠ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢١٩ .

(٧) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ٧ : ١١ ، وحلية الأولياء ٥ : ٢٤٤ ، وتاريخ مدينة دمشق المخطوط ١٧ : ٤٨٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ١٠ : ٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(٨) الطبقات الكبرى ٥ : ٤٣ .

عليه». وقال ابن كثير[1]: «لما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت مَعْضِلةٌ جمع مَنْ عنده من الصحابة، فاستشارهم فيها».

ومنهم عمر بن عبد العزيز، فإنه لما تقلّد المدينة للوليد بن عبد الملك، كان يستشير المقدمين من فقهاء التابعين بها، وكانوا عشرة، فلم يكن يُـمْضي شيئاً إلا برأيهم، روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال[2]: «لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل دار مروان، دخل عليه الناس فسلموا، فلما صلى الظهر، دعا عشرة من فقهاء المدينة: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمَةَ، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدّى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلاّ بلغني، فخرجوا يجزونه خيراً». وقال ابن كثير[3]: «كان إذا وقع له أمر مشكل، جمع فقهاء المدينة عليه، وقد عين عشرة منهم، وكان لا يقطع أمراً دونهم أو دون من حضر منهم. وقد كان سعيد بن المسيّب لا يأتي أحداً من الخلفاء، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة. وقال إبراهيم بن أبي عبلة: قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأي».

ومنهم عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري، فإنه لما تولى المدينة ليزيد بن عبد الملك، كان يستفتي بعض النابهين من فقهاء التابعين بها، ولم يكن يُنْفِذُ شيئاً

---

(1) البداية والنهاية في التاريخ ٨: ٢٥٨.

(2) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤٢٧، وانظر الأخبار الطوال ص: ٣٢٦، والكامل في التاريخ ٤: ٥٢٦، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٧١، وانظر ص: ٧٤، ١٠٢.

(3) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ١٩٤.

إلا بحكمهم ، قال الواقدي[1] : « ولي المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري ، فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه ، وكان يذهب مذاهب الخير ، لا يقطع أمراً إلاّ استشار فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وسالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وممن فعل ذلك من ولاة العراق زياد ابن أبيه ، فإنه لما تقلّد البصرة لمعاوية ابن أبي سفيان ، قرّبَ فقهاء الصحابة من أهل البصرة ، واستعمل طائفة منهم ، قال المدائني[2] : « استعان زياد بعدة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منهم عمران بن الحصين الخزاعي ، ولاّه قضاء البصرة ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ولاّه خراسان ، وسمرة بن جندب ، وأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي سمرة ، فاستعفاه عمران بن الحصين ، فأعفاه ، واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي ، ثم أخاه عاصم بن فضالة ، ثم زرارة بن أوفى الحرشي » .

وكان زياد يستنصح هؤلاء الصحابة ، ويستشيرهم في الأمور ، وهل أدل على ذلك من قوله[3] : « ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي ، ما كتب إلي إلاّ في اجترار منفعة أو دفع مضرة ، .... ، ولا شاورت في أمر إلا سبقهم إلى الرأي فيه » . وكان عامله على خراسان[4] .

ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فإنه لما تولى العراق لعبد الملك بن مروان ، كان يرجع إلى نفر من كبار فقهاء البصرة والكوفة ، ويسألهم رأيهم في بعض المسائل المهمة ، وكان يعمل بما ينصحون له به ، مثل سعيد بن جبير الأسدي

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ١٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١١٤ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٢٢٤ ، وانظر كتاب الفتوح ٤ : ١٩٩ ، ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ .

(٣) البيان والتبيين ٢ : ٢٠٠ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٢٨٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٤٨٩ .

الكوفي[١] ، وعامر بن شراحيل الشعبي الكوفي[٢] .

ومنهم عمر بن هبيرة الفزاري ، فإنه لما تقلد العراق ليزيد بن عبد الملك ، كان يستشير جماعة من أجلاء فقهاء البصرة والكوفة في بعض القضايا المُشْكلة ، وكان يأخذ بما يشيرون به عليه ، مثل الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين البصري ، وعامر بن شراحيل الشعبي الكوفي[٢] .

والقضاء هو أكثر الأعمال التي تولاها الفقهاء في العصر الأموي ، وقد عُنِـيَ خليفة بن خياط بجميع قضاة الأمصار في هذا العصر عناية فائقة ، وأحاط بهم إحاطة دقيقة ، فذكر قضاة كل مصر في عهد كل خليفة من معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن محمد[٣] ، إلاَّ سليمان بن عبد الملك ، فإنه لم يذكر قضاة الأمصار في عهده ، ولعلهم سقطوا من أصل الكتاب .

واهتم الطبري بقضاة العراق في العصر الأموي ، فسمى معظم الفقهاء الذين استعملوا على قضاء البصرة وقضاء الكوفة[٤] ، ولم يحتفل بقضاة المدينة إلا قليلاً ، فإنه لم يُسَمِّ إلا أربعة منهم[٥] ، وكاد يُغْفِلُ قضاة الشام إغفالاً تاماً ، فإنه لم يُسَمِّ إلا واحداً منهم[٦] .

وأفردَتْ كتبٌ كثيرة لقضاة الشام والعراق ومصر[٧]، ولم يسلم من الكتب

---

(١) المعارف ص : ٤٤٦ ، وكتاب الأوائل ص : ٢٥٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٧٣ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ١٢ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٥٢ ، وتذكرة الحفاظ : ٨٦ .

(٣) العقد الفريد ١ : ٥٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٢ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٩٩ ، ٤٧٧ ، ٥٨٢ ، ٦ : ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٤٣٣ ، ٥٢٢ ، ٥٤٤ ، ٥٨٩ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٧ : ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ١١٨ ، ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٤٨ ، ٤٧٦ ، ٤٠٢ ، ٤١١ ، ٤٥٨ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٢٠١ ، ٢٥٦ ، ٣٥٥ ، ٧ : ٢٩ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٤٩١ .

(٧) انظر مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد لكتاب الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ص : ٣ .

التي أفردت لقضاة الشام إلاّ كتاب «الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام» لشمس الدين بن طولون المتوفّى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وقد ضمنه كتاب «القضاة الشافعية» لعبد القادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهو يشتمل على جميع قضاة دمشق في العصر الأموي[1]، فضلاً عن قضاتها في العصور التالية حتى سنة أربع عشرة وتسعمائة.

وفي كتاب فتوح مصر وأخبارها لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة سبع وخمسين ومائتين فصل طويل عن قضاة مصر في العصر الأموي[2]، وفي كتاب الولاة والقضاة لمحمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة فصل طويل آخر عنهم[3].

وتؤكد أخبار القضاة في تلك الكتب أنه لم يكن يتولى القضاء في الغالب إلاّ العالم الثقة الأمين العفيف من الفقهاء، وأن أكثر خلفاء بني أمية كانوا يحرصون على ذلك أكبر الحرص[4]، وتؤكد أيضاً أن القضاة كان لهم استقلالهم وحريتهم، وكان لهم جلالهم وحرمتهم، وأن بعضهم كان يعتزل ويتنحى، إذا تدخل أحد الخلفاء في عمله، أو حاول ردَّ حكمه[5].

وهكذا لم يقف معظم الفقهاء عند البيعة لبني أمية، والدعوة إلى طاعتهم، ولا عند النهي عن مناهضتهم، والنصح بالصبر على سياستهم، بل جاوزوا ذلك إلى العمل مع بني أمية وولاتهم، فشاركوهم في إدارة شؤون الدولة، وتصريف أمور الناس، وكانوا يبتغون من ذلك إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإعلاء قواعد الإسلام.

---

(١) القضاة الشافعية ص: ٢ــ ١١.
(٢) فتوح مصر وأخبارها ص: ٢٢٦ــ ٢٤٠.
(٣) الولاة والقضاة ص: ٣٠٠ــ ٣٥٢.
(٤) الولاة والقضاة ص: ٣٤١.
(٥) الولاة والقضاة ص: ٣٢٨.

ــ ٦ ــ
«مآخذ الفقهاء على بني أمية»

ليس معنى ما تقدم أن الفقهاء أذعنوا لبني أمية، وارتضوا كل ممارساتهم، وسكتوا عن سيئاتهم، فقد نددوا باستيلائهم على الخلافة بالقوة، وأنكروا استبدادهم بأمر الأمة، وذموا بعض خلفائهم وولاتهم، وعرّضوا بجوانب من سيرتهم. ولعلهم لم يطعنوا على أحد منهم أكثر مما طعنوا على معاوية بن أبي سفيان وسياسته وولاته، فقد عاب عليه سعيد بن المسيب المخزومي المدني إحداثه لنظام ولاية العهد، وتحويله الخلافة إلى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء، قال اليعقوبي[(١)] : «كان سعيد بن المسيب يقول: فعل الله بمعاوية وفعل، فإنه أعاد هذا الأمر ملكاً» !

وكان الحسن البصري أقوى من قدح فيه، وأشد من شهّر به، قال أبو مخنف الأزدي، قال الحسن البصري[(٢)] : «أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلاّ واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خِمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً[(٣)] ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣٢.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٢٧٩، والكامل في التاريخ ٣ : ٤٨٧، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ١٣٠، والنجوم الزاهرة ١ : ٢١٢.

(٣) حجر بن عدي الكندي الكوفي، كان من أصحاب علي بن أبي طالب، وكان من رؤوس الشيعة، اتهمه زياد ابن أبيه بأنه خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين، وساقه إلى معاوية مع اثني عشر رجلاً من أصحابه، فقتله معاوية، وقتل بعض أصحابه سنة إحدى وخمسين. (الطبقات الكبرى ٦ : ٢١٩، وأنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢٢١، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٢٥٦).

ويلاً له من حجر مرتين » ! وقال البلاذري[1] : « كان الحسن إذا ذكر معاوية قال : ويل معاوية من حجر وأصحاب حجر ، يا ويله » !

وأخذ الحسن على زياد ابن أبيه تعدّيه لحدود الله في العقوبة ، قال البلاذري [2] : « ذكر الحسن زياداً فقال : ما كان أجرأه على الله ، سمعته يقول : لآخذن الجار بالجار ، والله يقول : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ » [3] .

وذم قتادة بن دعامة السدوسي البصري الفقيه معاوية وزياداً معاً ، قال البلاذري [4] : قال قتادة : « كان زياد سيئته من سيئات معاوية ، وكان سمرة ابن جندب[5] سيئته من سيئات زياد » !

وحمل نفر من فقهاء الحجاز والعراق على يزيد بن معاوية ، ونالوا منه ، ورموه بالبطالة والضلالة ، وحرضوا على عزله وقتاله . وكان بعض فقهاء المدينة ومكة أول من ندد به ، وهتف بالخروج عليه ، فمنهم عبد الله بن الزبير[6] ، قال الواقدي [7] : « لما قتل عبد الله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير ، خطب الناس ، فذكر يزيد بن معاوية فقال : يزيد الخمور ، ويزيد الفجور ، ويزيد الفهود ، ويزيد القرود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد النشوات ، ويزيد الفلوات ، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده » .

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢٣١ .

(٢) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٧٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٤ .

(٤) أنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢٠٩ .

(٥) قال عوانة بن الحكم الكلبي : « لما جمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة خمسين ، كان يُخَلِّفُ سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار بالبصرة ، .... ، وكان سمرة يحدث أحداثاً عظيمة من قتل الناس وظلمهم » . (أنساب الأشراف ٤ : ١ : ١٨٢) .

(٦) انظر طبقات الفقهاء ص : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ .

(٧) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٣٠ ، وانظر كتاب الفتوح ٥ : ٢٧٨ .

ومنهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، ومصعب بن عبد الرحمن الزهري، والمسور بن مخرمة الزهري، وعبد الله بن مطيع العدوي، وهم من فقهاء المدينة، وعبد الله بن صفوان الجمحي، وهو من فقهاء مكة، وأشراف قريش[١]، وكلهم طعن على يزيد بن معاوية وخالفه[٢]. أما عبد الله بن حنظلة فكان ممن وفد على يزيد بن معاوية في وفد أهل المدينة الذي أرسله إليه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، «فلما رجع إلى المدينة، سألوه عن يزيد، فقال: جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد غير بني هؤلاء لجاهدته بهم»[٣].

وأما سائر الوفد فإنهم «لما وردوا المدينة قالوا: قدمنا من عند رجل فاسق، يشرب الخمور، ويضرب الطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، فعاقدهم الناس على خلعه، وولوا أمرهم عبد الله بن حنظلة الغسيل»[٤].

وقال عوانة بن الحكم الكلبي[٥]: «كان مسور بن مخرمة وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد، فلما قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر».

وذم بعض فقهاء البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد والي يزيد بن معاوية على العراق، وصرحوا بفساد سيرته وسوء خلقه، فقد ندد الحسن البصري بشدته وعنفه، وأنكر استبداده وتعسفه، قال ثابت البناني البصري[٦]: «كنت عند الحسن، فقام سائل ضرير البصر فقال: تصدقوا على مَنْ لا قائد له يقوده، ولا

---

(١) الاستيعاب ٣: ٩٢٧، وأسد الغابة ٣: ١٨٥، والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ٣٤٥، وتهذيب التهذيب ٥: ٢٦٥.
(٢) أنظر أنساب الأشراف ٤: ٢: ٢٥.
(٣) أنساب الأشراف ٤: ٢: ٤٣، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٩٥، والكامل في التاريخ ٤: ١٠٣.
(٤) أنساب الأشراف ٤: ٢: ٣١، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٨٠، والكامل في التاريخ ٤: ١٠٣.
(٥) أنساب الأشراف ٤: ٢: ٣١.
(٦) أنساب الأشراف ٤: ٢: ٨٠.

بصير يهديد، فقال الحسن: ذاك صاحب هذه الدار، يعني عبيد الله بن زياد، ما كان له من حشمه قائد يقوده إلى خير، ولا يشير به عليه، ولا كان له بصر يبصر به فينفعه»! وقال المدائني [1] : قال الحسن: «ما رأينا شراً من ابن زياد»!

وعاب الحسن البصري على ابن زياد جهله ومجونه، وشهَّر بتنعمه وإسرافه في طلب الطعام والشراب، قال المدائني [2] : قال الحسن: «قدم علينا عبيد الله ابن زياد، فقدم شاباً مترفاً فاسقاً، يأكل في اليوم خمس أكلات، وإن فاتته أكلة ظل لها صريعاً، يتكيء على شماله، ويأكل بيمينه، حتى إذا غلبت عليه الكِظَّة [3] قال: ابغوني حاطوماً [4]، ثكلتك أمك! إنما تحطم دينك»!

وطعن الأعمش سليمان بن مهران الأسدي الكوفي على ابن زياد طعناً شديداً، إذ وصفه بأنه كان مفطوراً على الشر والفساد، قال المدائني [5] : قال الأعمش: «كان ابن زياد مملوءاً شراً ونَغَلاً» [6] .

ورفض كثير من فقهاء الأمصار سياسة عبد الملك بن مروان، وحملوا عليه حملة قوية، دامغين له بإحداث البدع، ومخالفة الكتاب والسنة، وتعطيل حدود الله، رامين إياه بالبغي والعدوان، وارتكاب الآثام، وسفك الدماء. وكان سعيد بن المسيب من فقهاء المدينة الذين امتنعوا عن الاستجابة لبعض رغبات عبد الملك السياسية، فإنه أنكر نظام ولاية العهد الذي وضعه معاوية بن أبي سفيان، وأبى أن يبايع للوليد وسليمان ابني عبد الملك إلاّ بعد وفاة والدهما، واحتج لموقفه بما

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٨٣.
(٢) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٨٦.
(٣) الكظة : ما يعتري الممتليء من الطعام من غم وغلظة وضيق حتى لا يطيق النفس.
(٤) الحاطوم : الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام.
(٥) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٨٣.
(٦) النغل : الفساد.

يُرْوَى عن الرسول الكريم من أنه حَرَّمَ البيعة لخليفتين في وقت واحد، وأمر بالوفاء لأولهما، وضرب عنق ثانيهما، روى صاحب الإمامة والسياسة[1] أنه لما كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يأخذ البيعة من أهل المدينة للوليد وسليمان، «كره ذلك سعيد بن المسيب، وقال: لم أكن لأبايع بيعتين في الإسلام، بعد حديث سمعته عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إذا كانت بيعتان في الإسلام، فاقتلوا الأحدث منهما»[2]. وقال[3]: «لا أبايع وعبد الملك حي»، فضربه ضرباً مبرحاً.

وكان الحسن البصري ممن طعن على سياسة عبد الملك وولاته، وندد بممارساته، فقد سئل عنه فقال[4]: «ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته»!

وأكثر فقهاء الكوفة من اتهام عبد الملك بن مروان، وذكر شروره وشرور قومه، والتحريض على قتاله حين خرجوا عليه مع ابن الأشعث، وممن صرح منهم بعيوبه، ودعا إلى حربه سعيد بن جبير الأسدي، قال ابن سعد[5]: «كان سعيد بن جبير يقول يوم دير الجماجم: قاتلوهم على جورهم في الحكم، وخروجهم من الدين، وتجبرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة، واستذلالهم المسلمين»!

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٥٥: ٥٦.

(٢) هو حديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج من طريق أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما». (صحيح مسلم ٣: ١٤٨٠).

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٦: ٤١٥، والعقد الفريد ٤: ٤٢١، والكامل في التاريخ ٤: ٥١٤، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٦٠.

(٤) النجوم الزاهرة ١: ٢١٢.

(٥) الطبقات الكبرى ٦: ٢٦٥، وانظر تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٥٧، والكامل في التاريخ ٤: ٤٧٩.

ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي ، قال أبو مخنف الأزدي[1] : «قال الشعبي : يا أهل الإسلام ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم» .

ومنهم عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، قال أبو مخنف الأزدي[2] : «حدثني أبو الزبير الهمداني ، قال : كنت في خيل جبلة بن زحر الجعفي ، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة ، نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، فقال : يا معشر القراء ، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم ، إني سمعت علياً .... يقول يوم لقينا أهل الشام : أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى إليه ، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، ونوّر في قلبه اليقين . فقاتلوا هؤلاء المُحِلِّينَ المُحْدِثينَ المُبْتَدِعينَ ، الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه ، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه» .

وشارك بعض فقهاء الشام في نصح عبد الملك بن مروان ولومه[3] ، وأشهرهم عبد الله بن مُحَيْرِيزٍ الجمحي المقدسي ، «وكان عابد أهل الشام في زمانه[4]» ، وكان علماء أهل الشام وفقهاؤهم يقدمونه على أنفسهم ، ويثنون عليه ، ويفتخرون به[5] ، قال خالد بن دُرَيْكٍ الشامي[6] : «كانت في ابن محيريز خصلتان ما

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٣٥٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٧٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٣٥٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٧٨ .

(٣) التاريخ الكبير ٢ : ١ : ١٧٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٨٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١١٥ ، والفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص ١٩١ .

(٤) حلية الأولياء ٥ : ١٤٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٨٥ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٦٩ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٣٥ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٨٥ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ٢٢ .

(٦) حلية الأولياء ٥ : ١٤٥ .

كانتا في أحد ممن أدركت في هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له حتى يتكلم فيه، غضب مَنْ غضب، ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده». وقالوا[1]: «كان صموتاً معتزلاً للفتن، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة».

وقد تعددت أساليبه في نصح عبد الملك ولومه، فحيناً كان يتلطف إليه، ويعظه بالحسنى، قال رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني[2]: «كان ابن محيريز يجيء إلى عبد الملك بصحيفة فيها النصيحة يقرئه ما فيها، فإذا فرغ منها أخذ الصحيفة».

وحيناً كان يشتد عليه، ويجهر بذمه، منكراً استباحته للمحارم، واقترافه للجرائم، وتخاذله عن نشر الإسلام، مستفظعاً انتهاك جنده للكعبةِ، وقتله لخصومه، وانصرافه عن محاربة الروم، لاشتغاله بتثبيت سلطانه، قال الواقدي[3]: «لقي ابن محيريز قبيصة من ذويب، فقال: يا أبا إسحاق، عَطلتم الثغور، وأغزيتم الجيوش إلى الحرم، وإلى مصعب بن الزبير! فقال له قبيصة: احذر من لسانك، فوالله ما فعل! فأرسل إليه عبد الملك، فأتي به متقنعاً، وأوقف بين يديه، فقال: ما كلمة قلتها نغص لها ما بين الفرات إلى العريش؟ يعني عريش مصر. ثم لان له فقال: الزم الصمت، فإن من رأيي البقية[4] في قريش، والحلم عنها. قال: فرأى ابن محيريز أنه قد غنم نفسه يومئذ»!

وذم غيرُ قليلٍ من فقهاء الأمصار الحجاجَ بنَ يوسفَ والي عبد الملك بن

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ١٨٦.

(٢) حلية الأولياء ٥: ١٤٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٧: ٤٧٧.

(٤) في الأصل «رأى». والبقية اسم بمعنى الإبقاء.

مروان ، ووالي الوليد بن عبد الملك على العراق ، وأفتى بعضهم بفسقه ومروقه من الدين ، وحكم بعضهم بإلحاده وكفره .

ومن فقهاء الحجاز الذين ذموه بجير بن أبي بجير ، وهو من أهل الطائف[1] ، ويظهر أنه كان يتردد على الشام ، قال علي بن أبي حملة الفلسطيني [2] : «لم يكن بالشام أحد يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلاّ بجير بن أبي بجير ، وأبو الأبيض العنسي » .

ومن فقهاء اليمن الذين كفروه طاووس بن كيسان الهمداني ، فإنه كان يقول [3] : « عجبت لإخوتنا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً » !

ومن فقهاء العراق الذين عابوه الحسن البصري ، فقد روى أيوب بن كيسان السختياني البصري أن الحسن كان ينهى الحجاج ويردعه عن الظلم ، وكان يأمره بالعدل في الحكم ، وذكر له مناظرات معه ، وأن الحجاج أراد قتله فعصمه الله منه [4] . وقال ميمون بن مهران الجزري [5] : « بعث الحجاج إلى الحسن ، وقد همّ به ، فلما دخل عليه ، وقام بين يديه ، قال : يا حجاج ، كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال: فأين هم ؟ قال: ماتوا، فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن» .

ومنهم سعيد بن جبير الأسدي الكوفي ، فإنه أعلن أنه ثار عليه مع ابن الأشعث ، لأنه انسلخ من الإسلام ، إذ قيل له [6] : « خرجت على الحجاج ؟ فقال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر» !

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٤١٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢ : ٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٧ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٧٨ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٥ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٧٨ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٥ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٦ .

ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ، فإنه أفتى بتكفيره قبل أن يخرج عليه ويصفح عنه ، قال ابن عساكر[1] : «اختلف رجلان ، فقال أحدهما : الحجاج كافر ، وقال الآخر : إنه مؤمن ضال . فسألا الشعبي ، فقال لهما : إنه مؤمن بالجبت والطاغوت[2] ، كافر بالله العظيم» !

ومنهم القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي ثم الدمشقي ، فإنه كان يرى أن الحجاج يهدم أركان الإسلام هدماً ، قال الأوزاعي[3] : «قال القاسم : كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الإسلام عروة عروة» .

ومن فقهاء الشام الذين طعنوا على الحجاج ، وشهروا به عبد الله بن محيريز الجمحي المقدسي ، وأبو الأبيض العنسي ، قال أبو الأبيض العنسي ، قال أبو زرعة السيباني الحمصي[4] : «لم يكن بالشام أحد يظهر عيب الحجاج بن يوسف إلا ابن محيريز ، وأبو الأبيض العنسي ، فقال له[5] الوليد بن عبد الملك : لتنتهين عنه ، أو لأبعثن بك إليه» !

وشهد آخر القرن الأول تحولاً في سياسة بني أمية ، إذ انتهى عهد الشدة والعنف ، وابتدأ عهد المسالمة والمشاورة ، فأخذ بنو أمية أنفسهم يسألون الفقهاء عن آرائهم في سيرة من سبق من خلفائهم ، وكان سليمان بن عبد الملك أول من أقدم على ذلك منهم ، فإنه لما حج سنة سبع وتسعين ، بحث عن كبار فقهاء الأمصار وخيارهم ، ورغب إلى من لقي منهم أن يصدقه القول في خلافة بني أمية ، وأن

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٧ .

(٢) الجبت : كل ما عبد من دون الله كالصنم والكاهن والساحر . والطاغوت : الشيطان .

(٣) حلية الأولياء ٥ : ٨١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٦ .

(٤) حلية الأولياء ٥ : ١٤١ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ٢٣ .

(٥) الضمير في «له» يعود على ابن محيريز .

يمحضه النصح فيما ينبغي له أن يعمل به في الحكم، حتى تصلح أمور الناس وتستقيم، ومنهم أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي، وكان عالم المدينة وزاهدها وواعظها [1]، فقال له [2]: «ما أقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين، ولا اجتماع من المسلمين، فسفكت فيه الدماء الحرام، وقطعت به الأرحام، وعطلت به الحدود، ونكثت به العهود، وكل ذلك على تنفيذ الطينة، والجمع لمتاع الدنيا المشينة، ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها، فياليت شعري ما تقولون؟ وما يقال لكم؟ ....، قال سليمان: يا أبا حازم، كيف لنا أن نصلح ما فسد منا؟ فقال: المأخذ في ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين! فاستوى سليمان جالساً من اتكائه، فقال: كيف ذلك؟ فقال تأخذ المال من حله، وتضعه في أهله، وتكف الأكف عما نهيت عنه، وتمضيها فيما أمرت به. قال سليمان: ومن يطيق ذلك؟ فقال أبو حازم: من هرب من النار إلى الجنة، ونبذ سوء العادمة إلى خير العبادة».

ولقي أيضاً طاووس بن كيسان الهمداني، فأشار إلى غلظة الخلفاء السابقين وقسوتهم، وما ارتكب من مخالفات سياسية ومالية في أيامهم، ونهى سليمان عن المضي في طريقهم، ودعاه إلى الرِّفق بالناس، والابتعاد عن الظلم، قال رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني [3]: قال طاووس في مجلس سليمان: «أتعلمون من أبغض الخلق إلى الله؟ قلنا: لا، فقال: إن أبغض الخلق إلى الله تعالى عبد أشركه الله في سلطانه، فعمل فيه بمعاصيه، ثم نهض». وروى الزهري [4] أن

---

(١) المعارف ص: ٤٧٩، وتذكرة الحفاظ ١: ١٣٣، والبداية والنهاية في التاريخ ١٠: ٧٥، وتهذيب التهذيب ٤: ١٤٤.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ١٠٦، وحلية الأولياء ٣: ٢٣٥، ووفيات الأعيان ٢: ٤٢٢، وبعض النص في العقد الفريد ٣: ١٦٣، ومروج الذهب ٣: ١٨٧، وتذكرة الحفاظ ١: ١٣٣.

(٣) الإمامة والسياسة ٢: ١٠٥، وانظر البداية والنهاية في التاريخ ٩: ٢٣٧.

(٤) البداية والنهاية في التاريخ ٩: ٢٣٧، وانظر حلية الأولياء ٤: ١٥.

سليمان أرسل إلى طاووس فأتاه، «فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني أبو موسى قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم». فتغير وجه سليمان، فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه إليه فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني رجل من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: دعاني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، ثم قال: «إن لكم على قريش حقاً، ولهم على الناس حق، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا ائتمنوا أدّوا، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[١]. فتغير وجه سليمان، وأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه إليه وقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله: ﴿ **واتقوا يوماً تُرْجَعونَ فيه إلى الله ثم تُوفّى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون** ﴾[٢].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الورع والتقوى من فقهاء الأمصار يستشيرهم في أمور المسلمين، ويطلب نصحهم، وقد حفظ ابن الجوزي أكثر رسائله إليهم، وردودهم عليه، وممن كتب إليه منهم من أهل المدينة سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب[٣]، ومحمد بن كعب القرظي[٤]، وأبو حازم سلمة بن دينار المخزومي[٥]، ومن أهل البصرة الحسن البصري[٦]، وخالد بن صفوان التميمي[٧]، ومن أهل الكوفة ثم من أهل دمشق القاسم بن مخيمرة الهمداني[٨]،

---

(١) الصرف: التوبة. والعدل: الفداء.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٨١.
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١٠٥.
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١١١.
(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١١٣.
(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١٠٠.
(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١١٣.
(٨) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١١٣.

ومن أهل اليمن طاووس بن كيسان الهمداني [١] ، ومن أهل الجزيرة ميمون بن مهران الأزدي [٢] ، ومن أهل الشام رجاء بن حيوة الكندي [٣] .

وتفيد رسائلهم إليه أنهم أخذوا على أسلافه من خلفاء بني أمية تسرعهم في قتل الخصم ، وسفك الدم الحرام بغير حق ، وإسرافهم في جمع الأموال ، وتصرفهم فيها ، وألحوا عليه أن يعاقب المذنب على قدر ذنبه ، وأن يجبي المال من حله ، ويضعه في أهله ، وأن يعدل بين الناس في الحكم .

وتقل الأخبار التي تشير إلى مآخذ الفقهاء على بني أمية بعد ذلك ، ومن أهم ما بقي منها اتهام النضر بن أنس بن مالك الأنصاري البصري لبني أمية بمفارقة الكتاب والسنة ، حين خرج على يزيد بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب إلاّ عمر ابن عبد العزيز ، فإنه استثناه ونوه به [٤] .

ومنها ذم الحسن البصري لبني أمية ، وتنديده بأهل الشام ، حين نسبه بعض القراء الذين خرجوا مع يزيد بن المهلب إلى النفاق والتعصب لفساق أهل الشام ، لأنه حذر الناس من المعصية ، ودعاهم إلى اعتزال الفتنة [٥] . وقال أبو مخنف الأزدي [٦] : « قال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ! فقال : أنا راض عن أهل الشام ! قبحهم الله وبرحهم ! أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال ! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص: ١١٥ ، وانظر مروج الذهب ٣ : ١٩٤ .
(٢) الطبقات الكبرى ٥ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .
(٣) الطبقات الكبرى ٥ : ٣٩٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٨ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٨٧ ، وكتاب الفتوح ٨ : ٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٧٦ .
(٥) كتاب الفتوح ٧ : ١٤٦ ، ٨ : ٩ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٨٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٧٦ .

الدين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة ، ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار» !

ولا تكاد المصادر المختلفة تتضمن شيئاً مهماً عن تَنَقُّصِ الفقهاء لبني أمية وولاتهم ، واحتجاجهم على سياستهم في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسبب ذلك أن هشاماً تَمثَّلَ المشكلات السياسية والمالية والاجتماعية المزمنة أعمق التمثل ، وسعى في الحد منها والتغلب عليها أصدق السعي ، مستنيراً بالكتاب والسنة . وهو يتميز بشدة فطنته ويقظته ، ودقة مباشرته ومراقبته لأمور الدولة بنفسه ، وكثرة ممارساته وتطبيقاته الإسلامية [1] .

ويتبدّى من كل ما تقدم أن الفقهاء كانوا يكثرون من الطعن على بني أمية وولاتهم ، والذم لسيرتهم خلال الأزمات السياسية التي كانت تُفَضُّ بالوسائل العسكرية ، وكان يعقبها غير قليل من الاضطهاد والتسلط على الناس ، والاستبداد والتعسف في الحكم .

ويلاحظ أن مآخذ الفقهاء على بني أمية وولاتهم كانت تتراوح بين الإنكار لجورهم وظلمهم ، والتنديد بخروجهم على قواعد الإسلام ، والاتّهام لبعضهم بالفسق والكفر .

وكان فقهاء الشام أقل تَعرُّضاً لبني أمية وولاتهم إلاّ إذا اتصلت مخالفات أحدهم ، وكثرت سيئاته ، فإنهم كانوا يلومونه ويعيبونه . وكانوا يفعلون ذلك حرصاً على العمل بالكتاب والسنة ، وطلباً لإصلاح أحوال الناس ، وحفظاً لملك بني أمية ، ومنعاً له من الزوال [2] .

---

(١) الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص: ٣٤٦.
(٢) الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ص: ١٩٤.

ــ ٧ ــ
« ثورة الفقهاء على بني أمية »

لم يقنع الفقهاء بذم بني أمية وولاتهم، ورفض تجبرهم وقهرهم للناس، ولا بذكر تَعدّي بعضهم لحدود الله، واتهامه بالفسق والكفر، بل جاوز كثير منهم ذلك إلى التحريض عليهم، والعمل للتطويح بهم. وكان أولئك الفقهاء يبتغون تصحيح الأخطاء السابقة التي اعتورت حياة المسلمين، وأدت إلى أن يظفر أقواهم بالخلافة، وكانوا يرومون ردَّ الأمر إلى ما اتفقت عليه الأمة بعد وفاة الرسول الكريم، وهو أن ينتخب الخليفة من قريشٍ عن مشورة ورضا من الأمة.

وشارك فريق من القراء والفقهاء والعباد والزهاد في ثورتين خطيرتين على بني أمية: الأولى ثورة أهل المدينة وأهل مكة عليهم مع عبد الله بن الزبير من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين.

وقد أحصى خليفة بن خياط أسماء مَنْ قُتِلَ من وجوه قريش والأنصار وأشرافهم، ومن علمائهم وفقهائهم في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين [١].

واستقصى البلاذري أسماء من قتل منهم في حصار ابن الزبير الأول بمكة سنة أربع وستين [٢]، كما استقصى أسماء من قتل منهم مع ابن الزبير في الحصار الثاني بمكة سنة ثلاث وسبعين [٣].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٩٣ــ٣١٤.

(٢) أنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٥٧، وانظر تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٠، والكامل في التاريخ ٤ : ١١٧.

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٢.

والثانية ثورة أهل البصرة وأهل الكوفة على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي من سنة إحدى وثمانين إلى سنة ثلاث وثمانين، وقد انضم إليها كثير من قرائهم وفقهائهم. وأحاط خليفة بن خياط بأسماء من قتل منهم في وقعة دير الجماجم سنة اثنتين وثمانين[1].

وعلى هذا النحو لم يقاوم الفقهاء من أهل الحجاز وأهل العراق بني أمية باللسان، بل قاوموهم أيضاً بالسيف. ولكنهم هزموا وقتل بعضهم في المعارك التي خاضوها، وقتل بعضهم صبراً، وأخفقوا في تغيير شيء من الأمر الواقع، وعجزوا عن بلوغ ما أرادوا من الإصلاح.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٧١ـ ٣٧٢.

— ٨ —
« خلاصة وتعقيب »

استقر رأي المهاجرين والأنصار يوم السقيفة على أن الإمامة حق لقريش، لقرابتهم من الرسول الكريم، وسابقتهم في الإسلام، ومكانتهم الرفيعة بين العرب. وأقرت العرب بذلك كما أقرت به أكثر الجماعات السياسية في العصر الأموي إلاّ الخوارج [١]، ومرجئة القدرية [٢]، ومرجئة الجبرية [٣]، وبعض فرق الزيدية من الشيعة العلوية [٤]، فإنهم كانوا يذهبون إلى أن الخلافة شورى بين الأمة.

واعترف الفقهاء في ذلك العصر بخلافة بني أمية، لأن الأمة رضيت بهم، واجتمعت عليهم، فدخلوا في طاعتهم، وأعطوهم بيعتهم.

واعتزل أكثر فقهاء الحجاز والعراق الأحداث السياسية بعد موت معاوية بن أبي سفيان، واعتزلوها كذلك بعد موت يزيد بن معاوية، وذكروا أن الناس في فتنة، وأبوا أن يبايعوا لعبد الله بن الزبير إلاّ إذا اتفقت عليه الأمة.

وحذّر أكثر فقهاء الأمصار من الانضمام إلى كل من خرج على بني أمية، ونهوهم عن القتال معه، وأمروهم بالطاعة ولزوم الجماعة، وأشاروا عليهم بالصبر على بني أمية وولاتهم، ونصحوا لهم باحتمال جورهم وظلمهم، خوفاً من الفتنة،

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ١٨٩، وفرق الشيعة ص : ١٠، والفرق بين الفرق ص : ٤٥، والتبصير في الدين ص : ٢٦، والملل والنحل ١ : ١١٦، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص : ٤٦.

(٢) الملل والنحل ١ : ١٤٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٩٥، وفرق الشيعة ص : ٩، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣.

(٤) مقالات الإسلاميين ٢ : ١٣٦، وفرق الشيعة ص : ١٠، والفرق بين الفرق ص : ٢١١، والملل والنحل ١ : ٩١، والحور العين ص : ١٥٣، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص : ٦٩.

وحفظاً لوحدة الأمة ، إلاّ إذا خرج بعضهم من الإسلام ، فإنهم أحلوا عزله وقتله . وكانوا يجتهدون ذلك ، ويدعون إليه مُسْتَهْدِينَ بأن الله عز وجل أوجب طاعة أولي الأمر ، وأن الرسول الكريم رُوِيَ عنه أنه حَضَّ على طاعة الخلفاء والأمراء .

وقَبِلَ معظم الفقهاء العمل مع بني أمية وولاتهم ، وتقلّدوا مناصب متعددة ، كولاية بعض الأمصار والأجناد ، وجباية الخراج والجزية ، والإشراف على بيوت الأموال والمغانم والمقاسم ، وقيادة الشرطة ، والقيام على المظالم وديوان الرسائل ، وتقديم النصح والمشورة ، وكان القضاء أشهر الأعمال التي نهضوا بها .

ومع ذلك فإن الفقهاء لم يُذْعِنُوا لبني أمية وولاتهم ، ولم يسكتوا عن سيئاتهم ومخالفاتهم ، فإنهم عَرَّضوا باغتصاب بني أمية للخلافة بالعنف ، وجهروا بأنهم أبطلوا مبدأ الشورى بين قريش الذي ارتضته الأمة واتبعته زمن الخلافة الراشدة . وأنكروا نظام ولاية العهد الذي أحدثه معاوية بن أبي سفيان ، ثم تمسك به بنو مروان ، لأنه حَوَّلَ الخلافة إلى مُلْك خالص لبني أمية يتداولونه بينهم ، ويتعاقبون عليه وحدهم .

وشهَّروا ببغي أمية وبطشهم ، وتعديهم لحدود الله ، وتخطي ولاتهم لقواعد الإسلام ، ورموا بعضهم بالفسق والكفر . أما ما يُرْوَى من أن قليلاً من فقهاء المدينة كفروا يزيد بن معاوية ، فقد رَدَّه محمد بن الحنفية [1] ، وتَحَوَّط منه كبار الفقهاء في العصور التالية ، كالإمام ابي حامد الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، ودفعاه دفعاً قوياً ، قال الغزالي [2] : « يزيد صح إسلامه ، وما صح قتله الحسين ابن علي ، رضي الله عنه ، ولا أمره ولا رضاه بذلك ، ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به ، فإن إساءة الظن بالمسلم أيضاً حرام » . وقال ابن

---

(١) كتاب الفتوح ٥ : ٢٦٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ : ٢٣٣ .
(٢) وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٨ ، وفوات الوفيات ٤ : ٣٢٩ .

تيمية[1] : «من قال : إنه كان كافراً ، .... ، وإنه قتل الحسين تشفياً وأخذاً بثأر أقاربه من الكفار فهو أيضاً كاذب مفتر» . وقال[2] : «ديوان الشعر الذي يُعْزَى إليه عامته كذب ، وأعداء الإسلام كاليهود وغيرهم يكتبونه للقدح في الإسلام ، ويذكرون فيه ما هو كذب ظاهر ، كقولهم : إنه أنشد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وإنه تمثل بهذا ليالي الحرة ، فهذا كذب» ، وقال[3] : «يزيد لم يأمر بقتل الحسين ، ولا حُمِلَ رأسه إلى بين يديه ، ولا نكث بالقضيب على ثناياه ، بل الذي جرى هذا منه هو عبيد الله بن زياد ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري ، ولا طيف برأسه في الدنيا ، ولا سبي أحد من أهل بيته ، بل الشيعة كتبوا إليه وغروه ، فأشار عليه أهل العلم والنصح بأن لا يقبل منهم ، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ، فرجع أكثرهم عن كتبهم ، حتى قتل ابن عمه ، ثم خرج منهم عسكر مع عمر بن سعد ، حتى قتلوا الحسين مظلوماً شهيداً» .

وأما ما يروى من أن كثيراً من فقهاء الأمصار كفروا الحجاج بن يوسف ففيه نظر ، وهو يحتاج إلى تمحيص ، وقد تحرز منه نفر من فقهاء العصر الأموي[4] ، وتحرز منه أيضاً عدد من المؤرخين المدققين ، كابن عساكر[5] وابن كثير[6] ، وساقا أخباراً وأحكاماً أخرى تبرز شيئاً من محاسنه ، وتخفف قليلاً من مساوئه . ولم يستبعد ابن كثير خاصة أن يكون الشيعة وضعوا عليه بعض القبائح والخبائث التي

---

(١) سؤال في يزيد بن معاوية ص: ١٥ .
(٢) سؤال في يزيد بن معاوية ص: ١٥ .
(٣) سؤال في يزيد بن معاوية ص: ١٧ .
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٧ .
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٥١ .
(٦) البداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٢٨ .

تقطع بكفره، إذ يقول[1] : «رويت عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، ....، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه، وربما حَرَّفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات». ولكن جمهور الفقهاء والمؤرخين لا يبرئونه من شر وسوء، فهم يتفقون على أنه جار وظلم، وسفك الدم الحرام، واقترف بعض الجرائم والآثام.

وعندما استفحل خروج بني أمية وولاتهم على المبادىء السياسية التي أجمعت عليها الأمة، وتكرر تجاوز بعضهم للكتاب والسنة، شارك كثير من فقهاء الحجاز وفقهاء العراق في الثورة عليهم، وحاولوا التطويح بهم، ولكنهم غلبوا وقُمِعوا، ولم يتمكنوا من تحقيق ما قاتلوا في سبيله، وهو إحياء نظام الشورى في الخلافة، وإماتة الظلم، ونشر العدل.

ويظهر أن موقف الفقهاء من بني أمية وولاتهم كان يقوم على التسليم بالأمر الواقع، والعمل على إصلاحه والتوفيق بينه وبين المثل الأعلى في الحكم.

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٩ : ١٣٢.

المصادر والمراجع

أ ــ المصادر والمراجع المطبوعة :

(١) **ابن الأثير :** أبو الحسن ، علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) .
١ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة .
نشر المكتبة الإسلامية ببيروت .
٢ ــ الكامل في التاريخ .
طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٧٩ م .

(٢) **الأسفراييني :** أبو المظفر ، شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١ هـ) .
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين .
اعتنى بنشره محمد زاهد بن الحسن الكوثري .
نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٥٥ م .

(٣) **الأشعري :** علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠ هـ) .
مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٠ م .

(٤) **ابن أعثم الكوفي :** أبو محمد ، أحمد (ت ٣١٤ هـ) .
كتاب الفتوح .
طبع حيدر آباد الدكن بالهند .

(٥) **البخاري :** أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ) .
١ ـ التاريخ الكبير .
طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٦١ هـ .
٢ ـ صحيح البخاري .
طبع المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٥ هـ .

(٦) **البغدادي :** أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) .
تاريخ بغداد .
طبع مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٣١ م .

(٧) **البغدادي :** أبو منصور ، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ) .
الفرق بين الفرق .
تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .
طبع مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة .

(٨) **ابن بكار :** الزبير (ت ٢٥٦ هـ) .
الأخبار الموفقيات .
تحقيق الدكتور سامي مكي العاني .
طبع مطبعة العاني ببغداد ، ١٩٧٢ م .

(٩) **البلاذري :** أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ) .
١ ـ أنساب الأشراف :
القسم الثالث . أخبار العباس بن عبد المطلب وولده .
تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري .
طبع ببيروت ، ١٩٧٨ م .

٢ ــ أنساب الأشراف :
الجزء الرابع : القسم الأول .
أعده شلوسنجر ودققه وعلق عليه كستر .
طبع القدس ، ١٩٧١ م .
٣ ــ أنساب الأشراف :
الجزء الرابع : القسم الثاني .
اعتنى بنشره شلوسنجر .
طبع القدس ، ١٩٣٨ م .
٤ ــ أنساب الأشراف :
الجزء الخامس .
اعتنى بنشره غويتين .
طبع القدس ، ١٩٣٦ م .

(١٠) **الترمذي :** أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧ هـ) .
سنن الترمذي .
تحقيق إبراهيم عطوة عوض .
طبع القاهرة .

(١١) **ابن تغري بردي :** أبو المحاسن ، يوسف (ت ٨٧٤ هـ) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاتهرة .
طبع دار الكتب المصرية .

(١٢) **ابن تيمية :** أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) .
سؤال في يزيد بن معاوية .
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
طبع دار الكتاب الجديد ببيروت ، ١٩٧٦ م .

(١٣) **الجاحظ :** أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ) .
١ ــ البيان والتبيين .
حققه وشرحه حسن السندوبي .
طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٢ م .
٢ ــ رسائل الجاحظ .
تحقيق عبد السلام هارون .
طبع مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٥ م .

(١٤) **ابن الجزري :** أبو الخير ، محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ) .
غاية النهاية في طبقات القراء .
اعتنى بنشره براجستراسر .
طبع مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٣٢ م .

(١٥) **الجهشياري :** أبو عبد الله ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) .
الوزراء والكتاب .
تحقيق مصطفى السقا وزميليه .
طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٣٨ م .

(١٦) **ابن الجوزي :** أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) .
سيرة عمر بن عبد العزيز .
طبع مطبعة الإمام بمصر .

(١٧) **ابن أبي حاتم الرازي :** محمد بن عبد الرحمن (ت ٣٢٧ هـ) .
الجرح والتعديل .
طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٩٥٢ م .

(١٨) **ابن الحجاج :** مسلم (ت ٢٦١ هـ) .
صحيح مسلم .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٥٥ .

(١٩) ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .
١ ــ الإصابة في تمييز الصحابة .
طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ .
٢ ــ تقريب التهذيب .
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
طبع دار المعرفة ببيروت ، ١٩٧٥ م .
٣ ــ تهذيب التهذيب .
طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٦٨ م .
٤ ــ لسان الميزان .
طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٣٠ هـ .

(٢٠) **ابن أبي الحديد :** أبو حامد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٥ هـ) .
شرح نهج البلاغة .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٦٥ م .

(٢١) **حسن عطوان :**
١ ــ الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي .
طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٦ م .
٢ ــ الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي .

طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٦ م .

٣ ــ القراءات القرآنية في بلاد الشام في العصر الأموي .

طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٢ م .

(٢٢) **الحميري :** أبو سعيد ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ) .

الحور العين .

تحقيق كمال مصطفى .

طبع طهران ، ١٩٧٢ م .

(٢٣) **ابن حنبل :** أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) .

مسند الإمام أحمد بن حنبل .

طبع المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ببيروت .

(٢٤) **أبو حنيفة الدينوري :** أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) .

الأخبار الطوال .

تحقيق عبد المنعم عامر .

طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٦٠ م .

(٢٥) **ابن خلكان :** أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

تحقيق الدكتور إحسان عباس .

طبع دار صادر ببيروت .

(٢٦) **ابن خياط :** خليفة (ت ٢٤٠ هـ) .

١ ــ تاريخ خليفة بن خياط .

تحقيق الدكتور سهيل زكار .
طبع وزارة الثقافة بدمشق ، ١٩٦٨ م .
٢ ــ طبقات خليفة بن خياط .
تحقيق الدكتور سهيل زكار .
طبع وزارة الثقافة بدمشق ، ١٩٦٦ م .

(٢٧) **الدارمي :** عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥ هـ) .
سنن الدارمي .
طبع بعناية محمد أحمد دهمان .
نشر دار إحياء السنة المحمدية بدمشق .

(٢٨) **أبو داود :** سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) .
سنن أبي داود .
أعده وعلق عليه عزت عبيد الدعاس وعادل السيّد .
طبع دار الحديث بحمص ، ١٩٧٤ م .

(٢٩) **الذهبي :** أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
١ ــ تاريخ الإسلام .
طبع مكتبة القدسي بالقاهرة .
٢ ــ تذكرة الحفاظ .
طبع حيدرآباد الدكن بالهند ، ١٩٥٦ م .

(٣٠) **ابن سعد :** محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ) .
الطبقات الكبرى .
طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٥٨ م .

(٣١) **السيوطي :** عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .
تاريخ الخلفاء .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
طبع مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٩٦٤ م .

(٣٢) **الشافعي :** أبو عبد الله ، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) .
كتاب الأم .
طبع المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٠٣ م .

(٣٣) **ابن شاكر الكتبي :** محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) .
فوات الوفيات .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
طبع دار الثقافة ببيروت .

(٣٤) **الشهرستاني :** محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) .
الملل والنحل .
تخريج محمد بن فتح الله بدران .
نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٦ م .

(٣٥) **الشيرازي :** أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ) .
طبقات الفقهاء .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
طبع دار الرائد العربي ببيروت ، ١٩٧٢ م .

(٣٦) **الطبريّ :** أبو جعفر ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

تاريخ الرسل والملوك .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبع دار المعارف بمصر .

(٣٧) **ابن طولون :** شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣ هـ) .
الثغر البسّام فيمن ولي قضاء الشام .
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥٦ .

(٣٨) **ابن عبد البر :** يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
تحقيق علي محمد البجاوي .
طبع مكتبة نهضة مصر .

(٣٩) **ابن عبد الحكم :** عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) .
فتوح مصر وأخبارها .
طبع ليدن ١٩٢٠ .

(٤٠) **ابن عبد الحكم :** أبو محمد ، عبد الله (ت ٢١٤ هـ) .
سيرة عمر بن عبد العزيز .
صححها وعلق عليها أحمد عبيد .
طبع دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٦٧ م .

(٤١) **ابن عبد ربه :** احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) .
العقد الفريد .

تحقيق أحمد أمين وزميليه .
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨ .

(٤٢) **ابن عساكر:** أبو القاسم ، علي بن الحسن بن عبد الله (ت ٥٧١ هـ) .
١ ــ تاريخ مدينة دمشق : الجزء الأول .
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥١ م .
٢ ــ تهذيب تاريخ ابن عساكر .
طبع دار المسيرة ببيروت ، ١٩٧٩ م .

(٤٣) **ابن العماد الحنبلي:** أبو الفلاح ، عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
طبع المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت .

(٤٤) **فخر الدين الرازي:** أبو عبد الله ، محمد بن عمر القرشي (ت ٦٠٦ هـ) .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .
راجعه وحرره علي سامي النشار .
نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٣٨ م .

(٤٥) **أبو الفرج الأصفهاني:** علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٤٦ هـ) .
الأغاني .
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٤٦) **ابن الفقيه الهمذاني:** أبو بكر أحمد بن محمد (توفي في أوائل القرن الرابع) .

مختصر كتاب البلدان.
طبع ليدن، ١٣٠٢ هـ.

(٤٧) **ابن قتيبة:** أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).
المعارف.
تحقيق ثروت عكاشة.
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٦٠ م.

(٤٨) **القلقشندي:** أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ).
صبح الأعشى في صناعة الإنشا.
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٤٩) **ابن كثير:** أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو (ت ٧٧٤ هـ).
البداية والنهاية في التاريخ.
طبع مكتبة المعارف ببيروت، ١٩٦٦ م.

(٥٠) **الكندي:** محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ).
الولاة والقضاة.
تصحيح رفن كست.
طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت، ١٩٠٨ م.

(٥١) **المبرد:** أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ).
الكامل.
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته.
طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٥٦ م.

(٥٢) **مجهول :** من موالي العباسيين من رجال القرن الثالث الهجري .
أخبار الدولة العباسية .
تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري ، والدكتور عبد الجبار المطلبي .
طبع دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٧١ م .

(٥٣) **مجهول :** من أهل المشرق من رجال القرن الثالث الهجري .
الإمامة والسياسة .
طبع مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٦٩ م .

(٥٤) **مجهول :** من رجال القرن الرابع الهجري .
العيون والحدائق في أخبار الحقائق .
اعتنى بنشره دي خويه .
طبع ليدن ، ١٨٧١ م .

(٥٥) **المسعودي :** أبو الحسن ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) .
١ ــ التنبيه والإشراف .
تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي .
طبع مكتبة الصاوي بالقاهرة ، ١٩٣٨ م .
٢ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٨ م .

(٥٦) **المقدسي :** مطهر بن طاهر (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع) .
البدء والتاريخ .
اعتنى بنشره كلمان هوار .
طبع باريز ، ١٨٩٩ ــ ١٩١٩ م .

(٥٧) **أبو نعيم الأصبهاني :** أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) .
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .
طبع دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٩٦٧ م .

(٥٨) **النعيمي :** عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ) .
القضاة الشافعية .
ضمن كتاب الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام لابن طولون .
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
طبع المجمع العلمي العربي بدمشق . ١٩٥٦ م .

(٥٩) **النوبختي :** أبو محمد ، الحسن بن موسى (توفي في أوائل القرن الرابع) .
فرق الشيعة .
اعتنى بنشره هـ . ريتر .
طبع مطبعة الدولة باسطنبول ، ١٩٣١ م .

(٦٠) **النووي :** أبو زكريا ، محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) .
تهذيب الأسماء واللغات .
طبع إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

(٦١) **النويري :** أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) .
نهاية الأرب في فنون الأدب .
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٩ م .

(٦٢) **ابن هشام :** أبو محمد ، عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) .
السيرة النبوية .

راجع أصولها محمد محيي الدين عبد الحميد .
طبع مؤسسة دار التحرير بالقاهرة ، ١٣٨٣ م .

(٦٣) **أبو هلال العسكري :** الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) .
كتاب الأوائل .
تحقيق محمد الوكيل .
طبع المدينة المنورة ، ١٩٦٦ م .

(٦٤) **ونستك :**
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف .
طبع ليدن ، ١٩٣٦ م .

(٦٥) **ياقوت :** أبو عبدالله ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحمري (ت ٦٢٦ هـ) .
معجم البلدان .
طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٧٧ م .

(٦٦) **اليعقوبي :** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ) .
تاريخ اليعقوبي .
طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٦٠ م .

ب ــ المصادر المخطوطة :

(٦٧) **البلاذري :** أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) .
أنساب الأشراف .
مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة اسطنبول ، رقم ٢٩٧ ــ ٥٩٨ .

(٦٨) **ابن شاكر الكتبي :** محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) .
عيون التواريخ .
مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٥ تاريخ .

(٦٩) **ابن عساكر :** أبو القاسم ، علي بن الحسن بن عبد الله (ت ٥٧١ هـ) .
تاريخ مدينة دمشق .
مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٦٧ ــ ٣٣٨٣ .

فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة : ٣

١ . حق قريش في الخلافة : ٥

٢ . إقرار الفقهاء بخلافة بني أمية : ١٠

٣ . دعوة الفقهاء إلى طاعة بني أمية : ١٢

٤ . نصح الفقهاء بالصبر على بني أمية : ٣٤

٥ . عمل الفقهاء مع بني أمية : ٣٩

٦ . مآخذ الفقهاء على بني أمية : ٥٠

٧ . ثورة الفقهاء على بني أمية : ٦٣

٨ . خلاصة وتعقيب : ٦٥

المصادر والمراجع : ٧١

فهرس الموضوعات : ٨٩